جامعة عمار ثليجي

كلية العلوم الانسانية والعلوم الإسلامية والحضارة

قسم التاريخ

العنوان:

# الدور السياسي و الإجتماعي للمرأة المغولية خلال القرنين 8/7 هـ – 14/13 م

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر في: التاريخ

تخصص: تاريخ الوسيط

إعداد الطالبتين:

– بن لحبيب حكيمة

– شيبوط حليمة السعدية

تحت إشراف الأستاذ:

– د/ الشارف خالد

لجنة المناقشة

| | | |
|---|---|---|
| الأستاذة: | خامد عائشة | رئيساً |
| الأستاذ: | كعبوش بومدين | مناقشاً |
| الأستاذ: | الشارف خالد | مشرفاً |

السنـــــة الجامعيــة: 2018/2017

إهداء:

الحمد لله الذي أرسل محمد صلى الله عليه وسلم بشيرا و نذيرا وداعيا إلى الله بإذنه و سراجا منيرا وأوضح به مناهج الرشد والسبل الحق وحمل الناس بشريعته على السنن العادلة،حتى استقام اعوجاج كل زائغ ورجع إلى الحق كل جاحد عنه ومائل وسجد لله كل شيء أما بعد :

أقدم ثمرة حصادي العلمي إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحنان والتفاني إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من تملك قلبا برحمته رعاني إلى أمي حفصة حفظها الله إلى الذي منحنى الرضي ودعواته إلى رمز الأمان أبي صالح أطال الله عمره

إلى الغاليات الثمينات أخواتي : جميلة، عائشة، وهيبة، زهرة، خدوج، هجيرة .

إلى أخي نور الدين وزوجته.

إلى براعم البيت :خليل ،منذر ،فدوى ،كريمة ،إنصاف ،منيرة ،

إلى أزواج أخواتي وأخص بالذكر ميلود .

والى خالاتي فاطنة، فاطيمة، صباح .

إلى مصدر سعادتي ونور حياتي صديقاتي : راضية ،فاطنة ،إكرام ،سمية ،بشرى ،لامية ،أصدقائي ،المخلصين : عمر ،محمد .

إلى التي تقاسمت معها عناء العمل إلى رفيقة دربي وشقيقة روحي وصاحبة القلب الطيب حليمة السعدية شيبوط والى جميع عائلتها.

**حكيمة.**

بسم الله الرحمن الرحيم

# إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع الى كل من أضاء بعلمه عقل غيره أو هدى بالجواب الصحيح حيرة سائليه فأظهر بسماحته تواضع العلماء و برحابته سماحة العارفين

أهدي هذا العمل الى من وضع لبناته الأولى إلى الذي علمني النجاح و الصبر إلى من افتقده في مواجهة الصعاب إلى الذي لم تلهمني الدنيا لأرتوي من حنانه إلى حبيبي فقيدي أبي عامر رحمك الله وأسكنك فسيح جنانه

ألى النور الذي ينير لي درب النجاح أمي فاطمة علمتني الصمود و الإستمرار فلولاك لم أكن لأنجح ولأصل لما أنا عليه لكي حبيبتي حفضك الله لي

إلى أخوتي احمد ام الخير خديجة عبد القادر

إلى خالتي خيرة و زهرة

إلى جميع أفراد عائلتي خالاتي وأخوالي وأعمامي

إلى براعم الحياة عندي صفا و مروة وفاطنة

إلى رفيقتي اختي التي لم تنجبها أمي التي شاركتني هذا العمل بن لحبيب حكيمة وجميع عائلتها

وإلى ....

إلى صديقاتي فاطنة سمية راضية سمية

إلى كل من وسعهم قلبي ولم يذكرهم قلمي

حليمة السعدية

# شكر وعرفان

نحمد الله عز وجل على أن من علينا بإتمام هذا البحث و نسأله مزيدا من النجاح والتوفيق في نجاحات مقبلة بإذنه تعالى.

نتقدم بالشكر والعرفان والامتنان الخالص لأستاذنا المشرف الدكتور خالد الشارف الذي لم يبخل علينا بالتوجيهات والإرشادات القيمة التي تمكنا بفضلها من تذليل وإزالة الصعوبات طوال فترة البحث .

ونتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ بومدين كعبوش الذي ساعدنا وشجعنا على إتمام هذا العمل ولم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته الدائمة .

ولا ننسى بالذكر زميلنا جاب الله عامر الذي مد لنا يد العون في بحثنا هذا.

كما لا يفوتنا تقديم الشكر إلى كل من ساهم في إخراج هذا البحث إلى النور سائلين المولى عز وجل أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم

.

ظهرت الإمبراطورية المغولية للعالم أوائل القرن السابع هجري الثالث العشر ميلادي على يد مؤسسها جنكيز خان الذي وحد قبائل البدو الهمجية و نقلها من حياة الهمج إلى حياة التحضر والتمدن، ولم يكن لينجح جنكيزخان في هذا الانجاز لولا وجود أمه بجانبه إذ ساندته في بداياته وأنشأته نشأة قائد وسياسي محنك لهذا أبقى المغول بعد جنكيزخان على وجود المرأة إذ عظموها وقدروها، فأنجب التاريخ المغولي رموز نسوية لا يستهان بها وهذا ما نستجليه في دراستنا التالية المتمثلة في التعرف على دور المرأة المغولية في المجالين الاجتماعي والسياسي إذ ظهرت عندهم العديد من النساء في التاريخ ممثلات مدى قوة المرأة المغولية وصلابتها وقدرتها على اتخاذ القرارات وتطبيقها.

**أسباب اختيار الموضوع:**

تولد اهتمامنا بالموضوع المتمثل في الدور الاجتماعي والسياسي للمرأة المغولية لما حمله من غموض وإبهام أردنا فك الرموز و شرح التساؤلات والإستفهامات التي تحيط به خاصة وأن الدراسات حول هذا الموضوع قليلة،

فتعددت أسباب الاختيار بين أسباب ذاتية وأخرى موضوعية.

**أ-الأسباب الذاتية**

من الأسباب الذاتية التي أدت بنا إلى اختيار موضوع دراستنا نذكر

-الفضول لمعرفة دور المرأة في تاريخ المغول وتأثيرها على مجرياته سواء بالسلب أو الإيجاب.

-رغبتنا في معرفة مدى تأثر المغول وخاناتهم بالنساء عموما والخواتين خصوصا.

**ب- الأسباب الموضوعية**

تسليط الضوء على دور المرأة المغولية في إمبراطوريتها كظاهرة غريبة على المجتمعات حينها إذ تحصلت على نوع خاص من التقدير والاحترام.

**أهمية الدراسة والهدف منها:**

تكمن أهمية هذه الدراسة في إثراء المعرفة حول الدور الذي لعبته المرأة المغولية في المجالين الاجتماعي و السياسي باعتبارها من الركائز السياسية المهمة عند خانات المغول، وتتجلى دراستنا أيضا في إبراز مدى تأثر تاريخ هذه الإمبراطورية بقرارات الخواتين المغوليات .

وكأي دراسة تتطلع إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، فالهدف الأساسي لكل باحث هو الوصول إلى الحقيقة العلمية والتي من شأنها تقديم إضافات جديدة فدراستنا تهدف لمعرفة وتحديد دور

النساء المغوليات عموما و الخواتين خصوصا على الصعيدين الاجتماعي والسياسي وذلك لفهم وتحليل مدى قدرة وسطوة النساء في هذه الإمبراطورية .

**الإطار الزماني و المكاني للدراسة:**

إن الإطار الزماني لبحثنا ممتد مابين القرنين السابع والثامن هجريين الثالث عشر والرابع عشر ميلاديين ،أما عن الإطار المكاني كانت امبراطورية المغول في عهدها الأول تتالف من خمس مناطق أساسية كانت الامبراطورية تشمل المناطق التالية :1 – منغوليا جنوب سيبيريا ومنشوريا التابعة لقاراقورم 2– شمال الصين والتبت التابعة لمقاطعة يان جينغ3– الدولة الخوارزمية بلاد ما وراء النهر وواحات صحراء هامي التابعة لمقاطعة بشبالق4– بلاد فارس جورجيا ارمينيا قيليقية وتركيا السلجوقية التابعة لمقاطعة جيحون 5– اراضي القبيلة الذهبية.

**إشكالية الدراسة:**

تعتبر دراسة المرأة المغولية ودورها عند المغول من أعقد وأوسع الإشكاليات التي يطرحها واقع البحث في تاريخ الإمبراطورية المغولية ونظرا لأهمية الموضوع فقد تطرقنا إلى عدة تساؤلات كانت منطلق دراستنا وعليه يمكن طرح الإشكال التالي :

ما هو الدور الذي لعبته المرأة المغولية في المجالين الاجتماعي والسياسي خلال القرنين السابع والثامن هجريين الثالث عشر والرابع عشر ميلاديين ؟

**الأسئلة الفرعية:**

–من هم المغول ،وماهي القبائل المكونة لمجتمعهم ؟

– كيف نشأة الامبراطورية المغولية ؟

– ماهي عادات وتقاليد المجتمع المغولي ؟وماهي القوانين التنظيمية التي استند إليها في تسيير أموره ؟

–كيف عامل المغول نسائهم ؟ وما هي المكانة التي حظيت بها النساء المغوليات في مجتمعهم ؟

– فيما تمثل دور الخواتين في المجال السياسي ؟

**منهج الدراسة:**

اعتمدنا في دراستنا الآتية : المنهج التاريخي التحليلي الوصفي لمعرفة الدور الذي لعبته المرأة المغولية .

**خطة البحث:**

و للإجابة عن التساؤلات المطروحة الأساسية والفرعية منها تطرقنا إلى خطة بحث تخدم الموضوع حيث احتوت على:

أربعة فصول واندرجت تحت كل فصل مجموعة من النقاط من اجل التفصيل أكثر حاولنا في الفصل الأول إعطاء نبذة عن الإمبراطورية المغولية من حيث أصل، والموقع، وتركيبة المجتمع، وبداية تكون الإمبراطورية، أما الفصل الثاني تضمن شرحا مسهبا عن الحياة الاجتماعية عند المغول فتطرقنا لطبقات المجتمع ،وعاداته و تقاليده و دياناته، والقوانين التي كانت تنظمه، وكذا الزواج والاسرة .

أما الفصل الثالث فكان مخصصا لمكانة المرأة ودورها الاجتماعي عند المغول تطرقنا فيه لوضع المرأة في المجتمع المغولي، ثم لمكانتها فيه، وللوظائف التي شغلتها، وأخيرا تناولنا دورها الاجتماعي وإسهاماتها الدينية والاقتصادية والثقافية.

أما الفصل الرابع و الأخير خصصناه لدراسة الدور السياسي للمرأة المغولية (الخواتين أنموذجا)، وكيف أسهموا في تحديد المسار السياسي لتاريخ الإمبراطورية من خلال ذكر دورهم السياسي في تربية وتولية الخانات، ودورهم في تولي منصب الخانية وقيادة الإمبراطورية، ودورهم في المصاهرات السياسية التي حددت في أغلب الأوقات نوع العلاقات الخارجية، وأخيرا تطرقنا لدور الخواتين السياسي في العلاقات السياسية الخارجية .

**نقد المصادر:**

مما لاشك فيه انه لا يمكن لأي باحث متخصص في دراسة التاريخ الوسيط الاستغناء عن المصادر المتخصصة ففي كل الأمور يقتضي عليه الرجوع إليها، وهناك العديد من المصادر التي أفادت هذه المذكرة ومن أهمها :

**المصادر الفارسية:**

كتاب جامع التواريخ بأجزائه الثلاثة لمؤلفه الفارسي رشيد الدين فضل الله الهمذاني ت718هـ، إذ يتضمن هذا الكاتب التاريخ المغولي منذ عهد خلفاء جنكيزخان وصولا إلى خلفاء هولاكو .

أيضا اعتمدنا على كتاب تاريخ فاتح العالم لمؤلفه الفارسي علاء الدين عطا ملك الجويني ت 681هـ، الذي عاصر الخان" منكو قاآن"، فاستفدنا منه في الاطلاع على نشأة الإمبراطورية وعلى معرفة دور للخواتين اللائي ذكرناهن في الفصل الأخير .

**المصادر العربية:**

اعتمدنا على كتاب صبح الأعشى لمؤلفه القلقشندي ت 821هـ، الذي استفدنا منه في الحياة الاجتماعية عند المغول وخاصة فيما تعلق بمأكلهم و ملبسهم، كما اعتمدنا على كتاب تاريخ الخلفاء لمؤلفه جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت 911هـ، الذي ساعدنا هو الآخر في المجال الاجتماعي.

فيما يخص كتب الرحلات اعتمدنا كتاب رحلة ابن بطوطة لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم المعروف بابن بطوطة ت 779هـ ،الذي اعتمدنا عليه في الفصل الثاني لشرح طبقات النساء المغوليات وأحوالهم.

أما عن المصادر الجغرافية فقد اعتمدنا على كتاب تقويم البلدان لصاحبه عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بابي الفداء ت 732هـ ،الذي أفادنا في تعريف المناطق الجغرافية .

**أهم المراجع:**

من أهم المراجع التي اعتمدنا عليها كتاب المغول للسيد الباز العريني الذي أفادنا في التعرف على تاريخ المغول المبكر وعاداتهم وتقاليدهم،كما اعتمدنا على كتاب المرأة ودورها في المجتمع المغولي لصلاح الدين محمد نوار وكان هذا المرجع من أهم المراجع التي ذللت لنا المصاعب إذ استخدمناه في أغلب النقاط التي تكلمت عن المرأة المغولية .

**صعوبات الدراسة :**

لا يخلو أي بحث علمي من الصعوبات و العراقيل وحتى يكون ناجحا يجب أن يتخطى ذلك بقدر المستطاع أما عن أول صعوبة واجهتنا:

– من أهم الأسباب التي تعترض المؤرخين والباحثين هي صعوبة جمع المادة العلمية بحيث لم يكن من السهل علينا الحصول عليها وجمعها وتحصيل المعلومات التي نحتاجها فيما يخدم موضوعنا.

– قلة المصادر والمراجع المتخصصة التي تتحدث عن دور المرأة المغولية .

–قلة الدراسات التي تخص الجانب الاجتماعي عند المغول عموما، والتي تخص المرأة المغولية خصوصا إذ ما يزال هذا الجانب غامضا في تاريخ المغول .

**أولا: نبذة عن الإمبراطورية المغولية:**

## 1. تعريف المغول:

ظهر المغول على مسرح أحداث التاريخ العالمي في أواخر القرن السادس هجري الثاني عشر الميلادي ثم برزوا كقوة عالمية ذات شهرة دولية واسعة النطاق خارج نطاق موطنهم الأصلي منغوليا وفي خلال العقدين الأول والثاني من القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي وقد استطاعوا أن يؤسسوا لهم إمبراطورية عالمية عرفها تاريخ البشرية في اقصر مدة حيث تكونت إمبراطوريتهم الواسعة الأرجاء والمترامية الأطراف في خلال ثلاثة عقود، امتدت من الجزر اليابانية والمحيط الهادي شرقا إلى قلب القارة الأوروبية غربا من سيبيريا وبحر البلطيق شمالا إلى الحدود الشمالية للجزيرة العربية وبلاد الشام وفلسطين جنوبا [1].

### أ .أصل المغول:

المغول من قبائل بدوية رعوية كان يشار إليهم غالبا باسم التتار أو التتر و هو اسم يطلق على إحدى مجموعاتهم و هي قبيلة التتر وكانت القبائل المغولية في مستهل القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي تعيش في هضبة منغوليا الواقعة في صحراء جوبيفي أواسط آسيا بين بحيرة بيكال في الغرب وجبال خنجان على حدود منشوريا في الشرق [2]،فالمغول شعوب بدوية كانت مقسمة إلى طوائف وقبائل متفرقة وكانت الصين حين ذاك قبائل بدائية لا تعرف حتى البدايات الأولى عن الحضارة [3] وهم شعب يشبه الترك في اللغة والمظهر العام وعاش هؤلاء القوم في بلادهم في شظف من العيش [4] يحد بلادهم من الناحية الشرقية بلاد الخطأ ومن الناحية الغربية بلاد الأويغور ومن الشمال بلاد القرغير وسلنكاي ومن الجنوب تنكت والتبت [5] .

---

[1] محمد علي الصلابي، **دولة المغول والتتار بين الانتشار و الانكسار**، ط1،دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2009، ص27.

[2] الصاوي محمد الصاوي؛ **جنكيزخان فاتح العالم**، ط1، د ار المكتبة المصرية، الجيزة، 2012، ص27 .

[3] سامي محمد المرسي، **المغول**، ط1، دار العالم العربي، القاهرة، 2011، ص 20.

[4] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، **الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي**، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، ص168.

[5] علاء الدين عطا ملك الجويني(ت681هـ)، **تاريخ فاتح العالم جهان كشاي**، تح: محمد عبد الوهاب القزويني، ط1، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2007، ج1، ص62.

## 2.الجغرافية الطبيعية للمغول :

يقطن المغول في المناطق الواقعة في قلب أسيا حيث توجد هناك الصحاري الجافة وقد ذكر الاشتياني، أن هذه البلاد تقع في تضاريس جغرافية مرتفعة بين جبال خيتكان وبلنوتي وألتاي وسايان، أي: أنها محصورة في أراضي بحيرة بايكال، وقد وصف ساندرز تلك البلاد بأن القسم الشمالي الغربي منها عبارة عن بحيرة لأنهار متعددة تلتقي ببعضها بالنهر الكبير سلنكا، وهذا النهر بدوره يصب في بحيرة بيكال، أما في القسم الشمالي الشرقي لتلك البلاد فيوجد نهر أونون وكرولن اللذان يلتقيان في جهة الشرق بنهر آمو الذي تغمره المياه[1].

## ب.أهم المناطق المغولية :

**حوض بحيرة بالخاش:** وتوجد في وسطه جبال تيان شان وكرين لن وهضبة التبت وبحيرة آرال وهو موطن طوائف مختلفة من الأتراك والجنس الأصفر .

**المناطق الواقعة بين جبال سايان وألتاي وجينزكان** وهي: تعد من الناحية الجغرافية من أقصى المناطق المعيشية في كافة مناطق أسيا الوسطى والشرقية وتعيش فيها قبائل من المغول والجنس الأصفر و التتار [2].

## ج.المناخ :

يسود هذا الإقليم مناخ صحراوي، ففي الصيف القصير ترتفع درجات الحرارة فيه تصل إلى(60°م) وتقل كمية الأمطار الساقطة عن خمسة بوصات، وهي كمية لا تكفي سوى لنمو بعض الحشائش النيئة الباردة ولانخفاض درجات الحرارة في فصل الشتاء إلى دون درجة التجمد لتصل أحيانا إلى (58°م) تحت الصفر بسبب تعرض هذا الإقليم للرياح الباردة والجافة القادمة من سيبيريا والتي تؤدي إلى تجمد المياه لأشهر عديدة في السنة[3]، ولكن قسوة المناخ لا تقف عند هذا الحد بل هناك أيضا الرياح الشديدة التي تهب في معظم أيام السنة فتحمل الحصى وترسله إلى مسافات بعيدة وتكون

1 محمد عيدان العيادي، **ابن العلقمي ودوره السياسي**، ط1، المجمع العالمي لأهل البيت، ص 137- 138.

2المرسي، مرجع سابق، ص 22 .

3 علاء محمود قداوي، **الموصل والجزيرة الفراتية في عهد المغول الإلخانية**، ط1، دراسة تحليلية عن الاحتلال والمقاومة والجوانب الحضارية، دار غيداء لنشر والتوزيع،2015م، ص 44 -45.

بذلك مواجهتها مستحيلة، وأحيانا تتحول إلى أعاصير عاتية لدرجة يصعب معها بقاء الرجل في سرجه ثم إن هذا المناخ لا يثبت على حال واحدة حتى لو كان الوقت صيفا [1] أما البرودة فهي الغالبة في معظم أيام السنة بسبب طول فصل الشتاء إذ يتجمد الماء في المنخفضات حتى شهر مايو، والجليد يمكن أن يرى على أواني الشرب في شهر أغسطس، كما أن الصيف لا يكاد يبل حتى ينتهي ...، وقسوة المناخ في منغوليا هو السبب في فقر الحياة النباتية بها، أما في المنطقة الشمالية الغربية المرتفعة تنمو الغابات السيبيرية على سفوح الجبال وتقل كلما سرنا من الشمال إلى الجنوب، حيث لا تنمو الغابات ينمو العشب وتصبح المنطقة لها صفات المراعي الأولية [2] .

**د.القبائل المكونة للمجتمع المغولي بعد توحيد جنكيزخان:**

في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي السادس هجري كان ينزل شمال منشوريا منغوليا وتركستان قبائل بدوية متأخرة تتخذ من الرعي والصيد مهنة لها تتنقل وارد العشب من مكان إلى آخر [3]، وتنتمي هذه القبائل من الناحية اللغوية إلى مجموعات المجموعة التركية المجموعة المغولية التونغوزية[4].

**– قبيلة قيات:**

هي القبيلة التي تزعمها سيوكاى بهارد "والد جنكيز خان" وهو خان القبيلة التي كانت تعتنق الديانة الوثنية تعرف بالشمانية وهي القبيلة التي ولد وترعرع فيها جنكيز خان مؤسس الإمبراطورية المغولية وخان القبيلة[5]وكانت سكناهم على شواطئ الشعب العليا لأمور وجبال قراقوم أيبابلوني الحالية[6].

---

1فؤاد عبد المعطي، الصياد، **المغول في التاريخ، دار النهضة العربية**، بيروت، 1980م، ج1، ص31- 32 .

[2] مصطفى طه بدر، **محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على المغول**، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999، ص 74 -75.

[3] الصلابي، مرجع سابق، ص30.

[4] السيد الباز العريني، **المغول**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1980، ص 28.

[5]المرسي، مرجع سابق، ص 20-21.

[6] محمد علاء الدين منصور، **تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية**، دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة،1989،ص 346 .

**– قبيلة الأويرات :**

وكانوا يقيمون في المنطقة الواقعة بين نهر أونن وبحيرة بكيال وكانوا كثيري العدد وقد انقسموا إلى عدة فرق إلا أنهم كانوا يتآمرون بأمر ملك واحد [1]،وهم من أصل مغولي [2]، ويتحدث أفرادها بلغة مختلفة عن لغة الطوائف المغولية الأخرى[3].

**– قبائل الماركيت :**

ويطلق عليهم أيضا اسم مركيت ويعدون أصلا من جنس المغول [4]، توطنت قبائل المركيت في المنطقة الواقعة شمال الكرابيت على مجرى نهر سلانجا و جنوبي بحيرة بيكال [5]، وكان لهم جيش قوي ذو بأس شديد وعرف عن هؤلاء القوم ميلهم إلى الشغب وإثارة الفتن ولهذا شن عليهم جنكيز خان حرب شعواء استعمل فيها أقصى ما عرف عند المغول من القسوة والشدة ولم يقف عند هذا الحد بل اصدر جنكيزخان أوامر بالقضاء عليهم جميعا فلم ينجو من سيوف رجاله إلا القليل من الهاربين أو من استطاعوا الاختفاء عند أقاربهم أومن كانوا لا يزالون أجنة في بطون أمهاتهم[6].

**– قبائل التتار :**

وهم طوائف كثيرة العدد تتكون من قبائل كبيرة تتشعب إلى شعب قبلية عديدة [7] وكانوا يقطنون المنطقة التي تحد شمالا بنهري أرخون وسيلنجا ومملكة القرغيز، شرق شمال إقليم الخطا" الصين الشمالي"وغربا قبائل الإيغور ، وجنوبا بإقليم التبت، وقبائل التتار من اشد القبائل الجنس الأصفر بطشا وجبروتا في إقليم آسيا الشمالية وكانوا اكبر القبائل رفاهية وتنعما، وكان التتار في القرن الثاني هجري والثامن ميلادي قسمين : القسم الأول تسع قبائل والثاني ثلاثون قبيلة وكانوا يسكنون جنوب غربي بحيرة بايكال وحتى نهر كيرولين[8]، وأطلق أهل الصين على هؤلاء التتار، وهو اسم نقع عليه حتى

---

[1] الصاوي، مرجع سابق، ص 27 – 30 .

[2] الصياد، مرجع سابق، ص 29.

[3] المرسي، مرجع سابق،ص20 .

[4] الصياد، المرجع السابق، ص 28 -29 .

[5] مرسي، المرجع السابق، ص 21 .

[6] الصاوي، المرجع السابق، ص 27-30 .

[7] المرسي، المرجع السابق، ص21.

[8] الصاوي، المرجع السابق، ص 29 .

في نقش أرخون العريق في القدم وقسموهم ثلاثة أقسام وفقا لمراحل تطورهم، فأما جيرانهم الأقربون تأثروا شيئا كثيرا بالثقافة الصينية فدعوهم التتار البيض وإلى شمال صحراء جوبي كان ينزل التتار السود و هم رحل،وكان المرسلون النساطرة قد مكنوا لأنفسهم فيما بينهم، فتنصرت قبائل الكراييت التي تعيش على ضفاف نهري أونون وكيرولين العليا وعلى ضفاف التولا أيضا، وكانت شعوب الغابات تقطن شمالي هؤلاء التتار السود، وتحيا حياة قوامها القنص والطرد، وتعد القبائل الآنفة الذكر على الرغم من القربى بينهما، منحطة و مستضعفة، وكانت الشامانية في أوج قوتها عندهم وكان الاعتقاد بوجود عالم من الأرواح الغيبي يضمن السحرة أي الكهنة الشامانيين سلطان كبيرا على حياة الناس. [1]

**قبيلة النيمان :**

هي قبائل بدوية من الجنس التركي غلب عليها الطابع المغولي وكانت القبائل تقطن الحوض الأعلى لنهر أرخون وسفوح جبال ألتاي وما حول البحيرات الواقعة في تلك المناطق وكانت تملك كل غرب منغوليا ابتداء من شمال نهر أرخون ونهر أرتيش [2] وبسبب اقتراب هذه القبيلة من قبائل الاويغور في الجنوب فقد اعتنقوا الديانة المسيحية حسب الطقوس النسطورية، وكان النيمان بدو رحل يقيمون بقيم بعضهم في جبال الوعرة والبعض الآخر في الصحراء، وكان النيمان يعدون من أرقى أنواع الترك في هذا الوقت وكانوا يتكلمون اللغة المنغولية [3] .

**– قبائل الكراييت :**

كانت تقطن الواحات الشرقية لصحراء جوبي وجنوب بحيرة بيكال حتى صور الصين وكانت هذه القبيلة من أقوى قبائل المغول في القرنين الخامس والسادس هجريين واستطاعت السيطرة على معظم القبائل التي حولها وقد اعتنق رئيس هذه القبيلة الديانة المسيحية عام 398 هـ- 1008 م وقد ذاع أمره في أوروبا، و رجت الأساطير و الخرافات عن هذه الطائفة وملكهم ومنذ ذلك الحين صاروا يعتنقون النسطورية على يد أسقف نسطوري مقيم في مرو وحتى القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي اتخذ زعماؤهم أسماء مسيحية، وكان طغرل من أشهر ملوكهم وقد استطاع أن

---

[1] كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، تر: نبيد أمين فارس،منير البعلبكي،ط5، دار العلم للملايين، بيروت، ص 381 -382.

[2] مرسي، مرجع سابق، ص 20-21 .**نهر أرتش:** يخرج من الجبل نفسه، ماؤه غزير وأسود لكنه عذب يصلح للشرب يسير بين الغوزو الكيماك ويصب في نهر ارتل، مؤلف مجهول، **حدود العالم من المشرق إلى المغرب**، تح: يوسف الهادي،ط1،دار الثقافة للنشر، القاهرة 1999،ص40.

[3] الصاوي، مرجع سابق، ص 28 .

يطرد عمه الذي كان ينافسه على العرش وذلك بمساعدة رئيس المغول يوسكاي والد جنكيزخان الذي ظل من أتباعه وقد استطاع طغرلأن يهزم التتار، وصار بذلك أقوى ملك ورئيس قبيلة في منغوليا فمنحه الإمبراطور كين الصيني اللقب الصيني للملك وهو وانج وعرف طغرل في التاريخ بلقبيه الملكيين الصيني والتركي و هما وانج خان [1] .

- **الأتراك الأيغور:**

هم من الأتراك أيضا، فكانوا ينزلون شمال منغوليا على نهر سلنجا selenga، واتخذ أميرهم لقب التايبر و هو أدنى مكانة من لقب خاقان، ولما انتقل إليهم الملك من منغوليا عن الاغور حوالي سنة 745، اتخذ ملكهم لقب خاقان، وحكم أسرته من سنة 840 وكان الايغور يؤلفون حلفا من تسع قبائل [2] وكانوا يستوطنون المناطق الواقعة في شمال شرق تركستان الحالية، وأفول نجمهم السياسي، إلا أنهم أدوا دورا حضاريا وثقافيا في دولة المغول، فقد عهد جنكيزخان الأيغوريون قد كلفوا من قبل جنكيزخان بكتابة الياسا وهو قانون الذي وضعه جنكيزخان، كما كان الخط الأيغوري هو الخط المتعامل به في إدارة الإمبراطورية المغولية[3].

**– القرغيز:**

هم من الأتراك أيضا كانوا ينزلون من اعلي نهر ينسي واتخذ أميرهم لقب الخاقان أيضا في القرن الثامن "نقوش أرخون" على أنهم لم يشتهروا من الناحية السياسية إلا حوالي 840 م، حينما انتزعوا أراضي الأويغور في منشوريا، امتدت بلادهم حتى المحيط، ولم يلبث الخطأ أن طردوهم من منغوليا أوائل القرن العاشر بينما احتفظ الجانب الأكبر منهم بمنازلهم في أعالي نهر ينسي ولذا كان لزاما على الخطأ أثناء طردهم من منغوليا وسيرهم نحو الغرب أن يقاتلوا القرغيز، الذين احترفوا الزراعة ثم خضعوا للمغول زمن جنكيز خان سنة 1218[4].

[1] الصاوي، المرجع السابق، ص 28 – 29 .
[2] العريني، مرجع سابق، ص29 .
[3] سامي، مرجع سابق، ص20 -21 .
[4] العريني، المرجع السابق، ص 29 .

**- القرخطانيون: الخطا، قره، خيتاي،وخيتاي:**

كلها أسماء لشعب خيتاي الوارد في المصادر الصينية منذ القرن الثامن الميلادي، والراجح أنهم من التنغوز "أول مغول حسب بعض الآراء"، ورد في نقوش أرخون ما يشير إلى هؤلاء الخيتاي كانوا أعداء للترك الذين كانوا ينزلون في أقصى الشرق من المنطقة التي بلغها الأتراك في حملاتهم، ووفقا للمصادر الصينية، نزل الخيتاي في جنوب منشوريا، وفي بداية القرن العاشر، قام الخيتاي بحملات حربية من اجل التوسع فاستولوا على شمال الصين وأقاموا أسرة حاكمة باسم ليانوا (966 م) بل مؤسس الأسرة، وهو اباؤوكي apaoki استطاع أن يخضع شمال منشوريا، الذي سبق أن استولى القرغيز عليه و ذلك سنة 840 م[1].

**- أتراك القارلوق :**

في شرق أتراك الغرب، ومن داخل بلادهم الواقفة بين جبال ألتاي والمجرى الأعلى لنهر ارتش كان يعيش القارلوق وهم عنصر تركي أيضا، وزادت أهميتهم بعد 766م، حينما احتلوا وادي نهر جو عقب سقوط إمبراطورية خاقان الترك الغربي، ولم يتخذ أمرائهم لأنفسهم لقب الخاقان إنما اكتفوا باتخاذ لقب "يبغوا"، و يشير الجغرافيون العرب إلى أن القارلوق لا يزالوا كفار في القرن العاشر ميلادي الرابع هجري ويذكر ابن حوقل أن بلادهم تمتد من فرغانة مسافة يجتازها المسافر في 30 يوما ونظرا لأنهم كانوا أقرب الشعوب إلى البلاد الإسلامية كانوا أشد تأثرا بالحضارة الفارسية ومع ذلك فهم يختلفون من بعض الوجوه عن الأتراك الخلص[2].

وقد عرفها أبي دلف مسعر بن المهلهل الخزرجي في الرحلة الأولى:**"يقال الخرلخ يأكلون الحمص و العدس و يحملون الشراب في الدخن و يأكلون اللحم إلا مغموسا بالملح و يلبسون الصوف،ولهم بيت عيادة في حياطنة صور لمتقدمي ملوكهم، والسيت من خشب لا تأكله النار وهذا الخشب كثير في بلادهم والبغي والجور بينهم ظاهر[3]".**

[1] العريني، المرجع السابق ،ص 32.

[2] نفسه، ص 31.

[3] أبي دلف مسعر بن المهلهل الخزرجي، **الرسالة الأولى**، تح: مريزن سعيد مريز نعسيرى، أبحاث ودراسات مركز الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى،1995،ص 47 .

## 3.المحاولات المبكرة لتوحيد المغول :

لقد سبق خضوع عالم البدو المشوش لإدارة جنكيزخان[1]، عدة محاولات تمهيدية لتوحيد القبائل المغولية غير أنها لم تفلح فمنذ القرن الرابع الهجري العاشر ميلادي تحرر المغول من الوصاية التركية بفضل تغلب القراخطاي على الأتراك القرغيز التي فرضت عليهم منذ سقوط الجوان جوان في منغوليا، أضف إلى ذلك تأسيس دولة القراخطاي في الربع الأول من القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي قد مثل سلفا على الرغم من ضعف زعمائها موجة الغزوات البدوية الضافرة قبل مئة عام من حصولها فهي الإمبراطورية المغولية الأولى التي قامت بعيدا عن مواطنها الأصلية[2].

والواقع أن جد المغول الذين ينتمي إليهم جنكيزخان المسمى بودانستار استطاع أن يخضع قبيلة تعيش في الجهات المجاورة لمنزله وخلفه ابنه قايدو في عملية التوحيد إذ لف حوله القبائل المجاورة له في محاولة للاتحاد و التوسع فالتفت حوله عشيرة البوريجين والتمست حمايته وأسس الدولة المغولية الأولى واتخذ لقب الخان وهو يعتبر المؤسس الحقيقي لقوة المغول،وبعد وصول كابلخان حفيد قايدو إلى الحكم وأضحت القوة المغولية قوة لا يستهان بها إذ وطدت علاقتها بأسرة كين التي حكمت شمالي الصين بعد أن كانت أفاقهم السياسية لا تتعدى جبل كنتي غير أن هذه العلاقة الودية لم تدم طويلا إذ أدى وقوع المشاحنات بين خان المغول كابل وملك الصين تايسونج إلى نشوب حرب بينهما سنة 1135م هزم على إثرها الجيش الصيني سنة 1139م كما اضطروا على التنازل عن عدة مقاطـــعات حدودية للمغول بعد أن عقدوا الصـلح بينهم سنة 1147م[3].

كما اشترك يوسكاي بن برطام بها دور الذي ينتمي لسلالة كابل في الحروب التي نشبت بين المغول والتتار بصفته رئيسا لعشيرة بوريجين وأسرة قيات وقتل في إحدى المعارك زعيما من زعماء التتار واسمه تيموجين وبعد أن عاد إلى قبيلته وجد زوجته قد ولدت له ولدا فسماه تيموجين تخليدا لانتصاره وهو الذي يعرف لاحقا بلقب جنكيزخان الذي يوحد القبائل المغولية ويؤسس الإمبراطورية.

[1] محمد سهيل طقوش، **تاريخ المغول العظام والإيلخانيين**، ط1، دار النفائس، بيروت لبنان، 2007، ص 23.

## 4.جنكيز خان موحد القبائل :

لقد هوت منغوليا في منتصف القرن الثاني عشر إلى حالة بالغة الشدة من الاضطراب و الهمجية فلم يكن بين التتار و المغول و الكرابيت و النايمانما كان معروفا باسم مدن البلاط فليست مدن الأويغور سوى معسكرات مدورة تقوم حول مخيم الزعيم و ينقص هذا المعسكر إذا ما ارتحل الخان أو الزعيم [1]

وكذلك كان الصراع محتدما ما بين أفراد كل قبيلة تقوم بينهم المنازعات والمشاحنات لأتفه الأسباب و يتنافسون على موارد الرزق القليل من العشب أو من الصيد واتخذوا أيضا الغارة والسلب وسيلة أخرى لمعيشتهم فكانوا يغيرون على قبيلة معادية ويغتصبون حيواناتهم ويسبون نسائهم وأولادهم فتتحين القبيلة الأخرى الفرصة و تنتقم لنفسها وهكذا تستمر حياتهم في صراع وصدام ومن اجل هذا كانت القبيلة التي ضعفت تضطر إلى الاحتماء بقبيلة قوية تذود عنها ولا شك أن هذا الصراع يرجع أول ما يرجع إلى طبيعة البيئة المجدبة القاسية [2].

ويصف الجوزجاني حالة القبائل المغولية فيقول :" **و كان الفساد و السرقة و الزنا كان متفشيا بين قبائل المغول و لم يكن في أقوالهم و أفعالهم سوى الكذب والفساد والسرقة والزنا فكانت جميع قبائل الترك تعاني من فسادهم وفتنتهم وبسبب هذه التصرفات كانوا يلاقون مذلة كبيرة في بلاط آلتون خان حيث كانوا يطلبون منهم ذهبا وجيادا وافرة** [3]" .

و يؤكد له مؤرخ المغول الجويني على أقواله فيقول:"**و كانتكل قبيلة أو اثنين تعيشان منفصلتين لا تتفقان النزاع والخصام قائم ومستعر بينهم وكان بعضهم يعتبر السرقة والزور والفسق والفجور من الشجاعة والبطولة واعتاد خان الختاي أن يطلب ويحصل منهم على ما يريد** [4] ".

ولم تبدأ قبائل المغول تاريخها إلىحين جمع شملها أحد زعمائها المعروف باسم جنكيزخان الذي استطاع بدهائه وذكائه أن يوحد القبائل المغولية ويتربع على عرشها سنة(603 هـ-1206م) واتخذ مدينة

---

[1] العريني، مرجع سابق، ص38 .

[2] الصياد، مرجع سابق، ص 36 .

[3] منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني(698هـ)، **طبقات ناصري**، تر: ملكه علي التركي، ، ط، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012،ج2، ص118.

[4] الجويني، مصدر سابق، ج1، ص62.

"قره قورم" عاصمة لدولة المغول[1]، واخذ يتوسع نحو الشرق والغرب وتعتبر الفترة الممتدة من سنة 1206-1627م فترة فتح وتوسع[2].

وأما عن كيفية وصول جنكيزخان لتوحيد القبائل فيروي الجويني أن أونك خان سيدا على قبيلتي ساقيز و كريت اللتان كانتا أكثر قوة وشوكة من القبائل الأخرى، وكان جنكيزخان كثير التردد على أونك الذي تنبه لدهائه و فطانته فقربه منه وبالغ في إكرامه وإعزازه حتى يسلمه أمور البلاد وشؤونها، وبسبب دهاء جنكيزخان تنظمت الجيوش واستقامت الأمور، حتى امتلأت قلوب أبناء أونك خان و إخوته حقدا على جنكيزخان وما لبثوا حتى حرضوه عليه وقرر مواجهته ليلا بسبب تعذر الأمر عليه في النهار فاتفق هو ومن معه على أن يهاجموا جنكيزخان ورجاله في الليل،لكن فشلت خطة أونك خان إذ هرب منه طفلان احدهما يدعى كلك والأخر باده وتوجها لجنكيزخان وأطلعاه على ما يدبر ملكهما له فتجهز جنكيزخان وواجه الجيش وهزمه سنة 599هـ وحتى يضمن عدم استرجاع أونك خان لجيشه ومنصبه أرسل عقبه جيشا حاربه في معركتين انتصر فيهما وهزمه و اسر أهله،وبعد هذا الانتصار أعلن جنكيزخان توحيده للقبائل إذ يظهر هذا في قول الجويني:"**وحينما ارتفع شان جنكيزخان واستحلت كواكب سعادته أرسل السفراء إلى القبائل الأخرى وادخل في زمرة أمراءه وحشمة كل شخص أعلن الانقياد له والإذعان لأمره من القبائل الأخرى مثل الاويرات و القنقورات وشملهم بعنايته ورعايته وأما من طغى وتكبر واثر التمرد والعصيان فقد دمره بسياط البلاء وسيوف الدمار والفناء حتى اتحدت القبائل جميعها تحت حكمه وأذعنت لسلطانه وأمره أرسى قواعده جديدة وبسط العدل و الإنصاف وقضى على ما كان بينها من عادات ذميمة وصفات قبيحة**[3]".

أما القلقشندي فيروي في نفس سياق توحيد جنكيزخان للقبائل روايتين الأولى تؤيد قول الجويني وقد ذكرناها سابقا ورواية ثانية قال فيها: "،... **والثاني ماحكاه السلطان عماد الدين صاحب حماة في تاريخه عن محمد بن احمد بن علي المنشئ: كتاب إنشاء السلطان جلال الدين محمد خوارزم شاه إن مملكة الصين كانت منقسمة من قديم الزمان إلى ستة أجزاء كل جزء**

[1] محمود السيد، **التتار والمغول**، مؤسسة شهاب الجامعة، الإسكندرية،2001، ص 16-60 .

[2] بروكلمان، مرجع سابق، ص 381 .

[3] الجويني، مصدر سابق، ج1، ص 76.

**منها مسيرة شهر يتولى أمر كل جزء منها خان نيابة عن خانهم الأعظم بطمغاج[1]، قاعدة الصين إلى أن كان خانهم الأكبر في زمان السلطان خوارزم شاه يسمى "الطرخان" وكان متزوجا بعمة جنكيزخان إلى عمته معزيا وكان يجاور "دوشي خان"من الخانات الستة يسمى احدهما كشلوخان والأخر قلان فأرسلت زوجة دوشي خان إليهما بنعي زوجها إليها و تلاطفهما في استقرار جنكيزخان ابن أخيها مكانه في الخانية على أن يكونا معا ضدين له فأجابها إلى ذلك فاستقر جنكيزخان في الخانية مكان دوشي خان زوج عمته فبلغ ذلك الخان الأعظم الطرخان فأنكر ذلك على كشلوخان وقلان المذكورين فاتصل بهما فاجتمعا هما وجنكيزخان وخلعوا طاعة الطرخان ثم مات احد الخائنين وخلف ابنا اسمه "كشلوخان" فغلب جنكيز خان على ملكه ثم مات الأخر واستقل بما وراء النهر"[2].**

**أ. توسع جنكيز خان:**

تطلع جنكيزخان بعد أن وحد منغوليا إلى التوسع على حساب الصين لكن كان عليه قبل أن يقدم على هذه الخطوة أن يخضع بعض الأمراء الخارجين على حكمه أو المعادين له من المركيت و النايمان فاصطدم بأميري هاتين القبيلتين توقتا و كوشلوك على نهر أميل في عام 604 هـ 1208 م وانتصر عليهما فقتل الأول وفي الثاني باتجاه الغرب ناجيا بنفسه وأثناء عودته إلى المعسكر قدم عليه كل من أرسلان خان أمير القيالغ و أوزار أمير الميالغ في الشمال الشرقي من منغوليا ودخلا في طاعته كما انضوى الاويغور تحت سلطانه بعد أن انقلبوا على حكم القراخطائيين، واخضع جنكيزخان التانغوت في إقليم كانسو حيث مملكة هسيا الصنية غربي النهر الأصفر وقد خشي أن يهاجم هؤلاء أراضيه أثناء غيابه في غزو الصين ووافق ملكهم أن يدفع الخراج ويبدل ابنته زوجة لجنكيزخان[3] .

[1] **طمغاج**: "هي بلاد الخطا يزعم المسافرون أن السور دائر على مدنها و ضياعها وسائر عمائرها نحو ثلاثة وعشرين يوما في الطول من الغرب إلى الشرق وحدها الغربي بلاد القشمير وحدها الشرقي بلاد التتر والمشهور من مدنها مدينة طمغاج". عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر أبي الفداء(732هـ)، **تقويم البلدان**، دار صادر، بيروت، ص 556.

[2] القلقشندي، أحمد ابن العباس(821هـ)، **صبح الأعشى**، المطبعة الأميرية، دار الكتب السلطانية، القاهرة، مصر، 1919م. ج4، ص 307-306.

[3] طقوش، مرجع سابق، ص 43 .

ولما استطاع جنكيزخان أن يبسط سيطرته على جميع القبائل المغولية وكون منها حكومة واحدة تلفت حوله فرأى حكام إمبراطورية كين في الصين الشمالية لا يكفون عن تحريض القبائل الواحدة منها ضد الأخرى لكي يضلوا هم سادة الموقف وليأمنوا شر الغارات التي تشنها عليهم هذه القبائل فأراد جنكيزخان أن يضع حدا لتدخل أفراد هذه الأسرة في شؤون القبائل وصمم على محاربتهم خصوصا وانه كان يريد الانتقام منهم بسبب ما لقي آباؤه وأجداده معاملة سيئة على أيدي هؤلاء الحكام [1].

اشتبك جنكيزخان مع الصينيين لأول مرة عام(608هـ-1211م)، واستطاع أن يحرز حصيلة انتصارات على القوات الصينية وخضعت له البلاد الواقعة في داخل سور الصين العظيم وعين عليها حاكما من قبله،قد حشد جنكيزخان لهذه الحرب منذ بدايتها جل القوى التي أمكنه حشدها من القبائل والعشائر المغولية حتى انه لم يبق في منغوليا سوى ألفين من الرجال كما خرج الخاقان بنفسه هو وأولاده الأربعة لقيادة الجيوش المغولية[2].

تولى قيادة الجيش الرئيسي جنكيزخان وأصغر أبنائه تولي واتخذ وجهته نحو الجنوب الغربي وأنفذ أبناؤه الثلاثة الآخرين : جوجي، وجغتاي، وأوكتاي على رأس جيش أخر ليؤلف الجناح الأيمن لجيشه، وسارت هذه الحملة نحو الجنوب بينما أرسل من تبقى من القوات تحت قيادة إخوته إلى الشرق في اتجاه المحيط ولم تتوقف فتوح جنكيزخان إلاعند مرتفعات شانتونج على انه أنفذ في ربيع سنة(611هـ-1214م) الإمبراطور كين رسولا أما لما شعر به من التعب وأما لما شعر به من ضرورة العودة إلى الإمبراطورية المغولية ووجه إلى الإمبراطور الصيني هذه الرسالة "كل ما تملكه في شانتونج من أراضي وكل ما يقع شمال النهر الأصفر من بلاد يعتبر ملكا لي فيما عدا ينكنج فما أصبحت فيه من الضعف يقابله ما توافر لي من القوة غير أنني أحب أن أتوقف عن المضي في القتال والفتح ، إنما لا يتم ذلك إلا بشرط واحد وهو أن تبذل من الضيافات والهبات لقادتي ورجالي ما يجعلهم يخلدون إلى الهدوء و السلام [3] " .

[1] الصياد، مرجع سابق،ص51-52 .

[2] عبد السلام عبد العزيز فهمي، **تاريخ الدولة المغولية في إيران**، دار المعارف،القاهرة،1981م، ص 37.

[3] العريني، مرجع سابق، ص65– 66 .

ولما تأكد إمبراطور الصين المسمى واي وانج من حرج موقفه وافقه على الصلح وأرسل إلى جنكيزخان بعض الهدايا منها خمسمائة من الغلمان والجواري وثلاثة ألاف فرس كما بعث إليه بأميرة صينية من أسرته لتكون زوجة له ولكن هذا الملك عاد فعدل عن فكرة الصلح وربما كان مدفوعا في ذلك بعدم اطمئنانه إلى المغول فلم يكد جنكيزخان يجتاز السور الكبير حتى نقل إمبراطور كين مقر ملكه إلى مدينة كاي فونج في الجنوب لكي لا يكون قريبا من الحدود المغولية ، وفي بادئ الأمر ترك لابنه مهمة الدفاع عن بكين ثم عاد فاستدعاه وكلف أحد قواده بأن يحل محله وقد ترتب على ذلك حدوث انقسام في صفوف الجيش الصيني فاستغل جنكيزخان هذه الفرصة والتحم مع الصينيين في معركة فاصلة سقطت على أثرها مدينة بكين في أيدي المغول عام (612 هـ-1215م)[1].

واتخذوها عاصمة لمستعمرهم الجديدة مدة نصف قرن تقريبا وبعد أن وضع جنكيزخان يده على كل أملاك إمبراطورية كينفيا لأشهر التالية لهذا الانتصار لجأ واي وانج إلى الجنوب حيث أسرة سونج عودته بالأمس القريب، وامتدت فتوحات جنكيزخان حتى وصلت إلى نهر هوانهو، ثم عاد بعدها جنكيزخان إلى حاضرة ملكه قره قورم[2]، قد استفاد المغول كثيرا من هذا الغزو فاثروا بما استولوا عليه من كنوز الصينيين ونفائسهم التي لم يكن للمغول بها عهد من قبل ونرى هذا الثراء واضحا في الخيام التي صنعها المغول من الحرير بعد غزوهم البلاد الصينية وفي سيوفهم التي كانوا يرصعونها بالجواهر، كما اقتبسوا عن الصينيين استعمال البارود[3].

**ب. القضاء على كوجلك خان :**

بعد أن هزم جنكيزخان قبائل النايمان وقضى على ملكهم فر ابنه كوجلك خان مع جمع من أتباعه ولجأ إلى كورخان ملك القرخطائيين الذي كان حينها يعاني من تمرد السلطان علاء الدين خوارزم شاه الذي رفض أن يدفع له الجزية،استغل كوجلك خان هذا الوضع لكي يساعد كورخان على الوقوف ضد مطامع خوارزمشاه و يضل له وفيا ولا يعصي له أمرا[4].

---

[1] الصياد، مرجع سابق، ص 53 .

[2] **قره قورم**:"عاصمة الإمبراطورية المغولية في القرن الثالث عشر وهي بالقرب من مدينة خارخورين الحالية الواقعة في الشمال الغربي من منغوليا .جورج لاين، **عصر المغول**، تر: تغريد الغضبان، ط1، 2012، ص39.

[3] حافظ أحمد حمدي، **الدولة الخوارزمية والمغول**، دار الفكر العربي، ص 133 .

[4] الصياد، المرجع السابق، ص 54 .

فيذكر الجويني قول كوجلك لكورخان كما يلي: " **أن أقوامي كثيرة وهم متفرقون بين ايميل و قياليغ و بيش بالبغ وكل شخص يتحرش بهم ولن أحيد عن طريقه التي يريدها ولن الوي رقبتي إعراضا عن أمره ما دام ذلك ممكنا**[1]" .

وهكذا استطاع الزعيم الفار أن يجمع جيوشه وينظمها فانضم إليه جزء من أتباع كورخان كما لحق بهتوق تغان حاكم قبيلة المركيت الذي فر من جنكيزخان انتهز كوجلك فرصة العداء بين الخوارزميين والقرخطائيين كما انتهز ضعف كورخان ليقضي عليه ويتربع هو على عرشه فتحالف ضده مع السلطان محمد خوارزم شاه ومع زعيم قبيلة المركيت توق تقان فاستطاع بهذا كوجل كان ينتصر على كورخان ويأسره ويزج به في السجن حيث توفي بعد عامين،وبعد هزيمة القرخطائيين بدا كوجلك يتوسع إذ اخضع القبائل المجاورة له ومد سلطانه من بلاد التبت حتى حدود الدولة الخوارزمية وبهذا جاور البلاد الإسلامية[2].

وكان الناس في منطقة كاشغر وختن من بلاد القرخطائيين قد تمردوا عليه فأرسل جيوشه أولا إلى كاشغر في وقت حصاد الغلاة فكان جنوده يستولون على المحصول ويأكلون ويحرقون وينهبون ويعيثون في الأرض فسادا فارتفعت الحاجيات وتعذرت الأقوات فمن إلى هناك مع جيش وانزل في كل بيت به زوج أو رب بيت واحد من جنوده وهكذا احتموا مع الأهالي في مكان واحد وقدم للمشركين عبد الأوثان كل ما أرادوا وقدروا عليه ومضى من هناك إلى ختن واستولى عليها ثم ألزم سكانها على الارتداد عن الدين الإسلامي يقول الجويني : " ... **ثم ألزما لأهالي في تلك النواحي بالانتقال من الدين المحمدي وخيرهم بين أمرين إما أن يتخذوا النصرانية أو عبادة الأوثان دينا لهم وأما ارتداء زي الختائيين ولما كان التحول واعتناق دين أخر ليس ممكنا لهم فقد اضطروا إلى الإذعان لأمره وإلى ارتداء زيا أهل الخطى إذ دعانا لأمره**[3]" .

كان جنكيزخان يراقب أعمال كوجلوك خان وتوسعه على الأرض وأزعجه ما أقدم عليه من إطاحة بدولة القرخطائيين كما إن لجوء المسلمين المضطهدين في بلاد ما وراء النهر إليه وطلبهم منه أن ينقذهم من تعسفه شكل سببا أخر لكي يبرر الخان المغولي تدخله العسكري في المنطقة فأرسل القائد جيبي لحربه ويبدوا أن الزعيم النايماني خشي الدخول في مواجهة مسلحة مع عدوه فلاذ بالفرار

[1] الجويني، مصدر سابق، ج1، ص 94 .
[2] طقوش، مرجع سابق، ص 50 .
[3] الجويني، مصدر سابق،ج1، ص96 .

فطارده جيبي وقبض عليه أثناء فراره جماعة من المسلمين الذين كانوا يصيدون في جبال بدخشان، فقتلوه وسلموا رأسه للمغول، فانتهت بمقتله سلالة النايمان الحاكمة ودخلت جميع أراضي القرخطائيين سلما تحت حكم المغول وأضحى بهذا المغول مجاورين لأملاك الدولة الخوارزمية والإسلام[1].

**ج. سقوط الدولة الخوارزمية وبداية ظهور المغول في الأراضي الإسلامية:**

كانت الفترة التي اكتسح فيها جنكيزخان الدولة الخوارزمية فترة قصيرة جدا بالنسبة إلى عظم المساحة التي أخضعها المغول فهي لا تزيد على سنوات أربع إذ وصل جنكيزخان إلى الحدود الخوارزمية سنة (616هـ-1219م) وأتم إخضاع هذه الدولة ثم عاد فعبر نهر سيحون عائدا إلى منغوليا سنة (620هـ -1223م)[2].

والواقع أن جنكيزخان لم يشأ أن تكون علاقته بجيرانه الخوارزميين قائمة على القوة ورأى أن مشكلاته في شرقي أسيا واضطره إلى توطيد نفوذه في الصين تحول بينه وبين إشعال الجهة الغربية لذلك هداه تفكيره إلى عقد معاهدة تجارية مع الدولة الخوارزمية، وكان السلطان علاء الدين محمد قد اجتذبه ثروة الصين فطمع في الاستيلاء على هذا البلد وضمه إلى أراضي دولته[3].

ولكن هذا لم يحصل إذ أرسل له جنكيزخان مع بعثته وقافلته التجارية رسالة جاء فيها : " **ليس يخفى علي عظيم شانك وما بلغت من سلطانك وقد علمت بسطة ملكك ونفوذ حكمك في أكثر أقاليم الأرض وأنا أرى مسالمتك من جملة الواجبات وأنت عندي مثل اعز أولادي وغير خاف عليك أيضا أنني ملكت الصين وما يليها من بلاد الترك وقد أذعنت لي قبائلهم وأنت اخبر الناس بان بلادي مشارات العساكر ومعادن الفضة وأن فيها لغنية عن طلب غيرها فان رأيت أن تفتح للتجار في الجهتين سبيل التودد عمت المنافع وشملت الفوائد** "، عد السلطان الخوارزمي المعتد بنفسه هذه الرسالة رسالة تهديد ووعيد لكنه قبل أن يعقد المعاهدة مع جنكيزخان[4].

لكن أطماع السلطان الخوارزمي لم تتغير وأراد الاستيلاء على إمبراطورية المغول ولكن بنوايا خفية، وفي ظل هذه النظرة السياسية قام ثلاثة من التجار الخوارزميين من سكان بخارى برحلة إلى

[1] طقوش، مرجع سابق، ص 51 .

[2] حمدي، مرجع سابق، ص 135 .

[3] طقوش، المرجع السابق، ص 54 .

[4] الصياد، مرجع سابق، ص 99 .

ممالك المغول للتجارة، فأكرمهم جنكيزخان وأرسل معهم قافلة تجارية كلف احد رجالها بحمل رسالة خاصة للسلطان وعندما وصلت القافلة إلى مدينة أوترار على الساحل الغربي لنهر سيحون وهي أولى بلدة تقع في مناطق السلطان أجهز عليهم ينال خان حاكم المدينة وابن خال السلطان، فأرسل له جنكيزخان سفارة مؤلفة من ثلاث رجال للاحتجاج عنه وطلب منه تسليم حاكم أوترار لكن السلطان رفض الطلب وقتل احد أفراد السفارة واسر زميليه ولم يطلق سراحهما إلا بعد إن حلق لحيتيهما، وهذا كان هو السبب الرئيسي للاجتياح المغولي على العالم الإسلامي الذي اسقط كل من الدولة الخوارزمية وزعزع كيان الدولة الإسلامية استعد جنكيزخان أيما استعداد لهذه الحربالتي شنها ضد الدولة الإسلامية فكانت أوترار أول مدينة هاجمها المغول واسروا واليها ينال خان وقتله جنكيزخان[1].

بعد نجاح هذه المعركة توالت المدن الإسلامية في السقوط تبعا في يد المغول إذ استولى جوجي بن جنكيزخان على مدينة جند التي تعتبر إحدى الثغور الهامة على نهر سيحون، ثم سقطت مدينتا بناكت وخجند الواقعتان على منطقة فرغانة[2]،والوادي الأعلى من سيحون ثم سقطت بخارى، على يد جيش قادة جنكيزخان وابنه تولوي في الرابع من ذي الحجة سنة(616هـ-1219م)وتلتهم مدينة سمرقند إذ توجه لها جنكيزخان بعد أن استولى على بخارى وأخذ معه عددا كبيرا من الأسرى من سكان بخارى لتسخيرهم في الأعمال العسكرية فأسقطها وضمها إلى سيطرته وهكذا استطاع جنكيزخان أن يستولي على بلاد ما وراء النهر ويسهل على جيشه مهمة الاستيلاء على الأجزاء الباقية[3].

ركز جنكيزخان جهوده للقبض على محمد الخوارزمي فطارده إلا أن التجأ إلى إقليم مازدان[4]، حتى سمع بوقوع والدته تركان خاتون بأيدي المغول فاستدعى ابنه جلال الدين منكبرتي وعينه خليفة له ثم توفي(617 هـ -1220م)[5].

---

[1] طقوش، مرجع سابق، ص 58-59 .

[2] **فرغانة**: "ناحية بماوراء النهر متاخمة لبلاد الترك كثيرة الخيرات وافرة الغلات". زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان.

[3] الصياد، مرجع سابق، ص 120 .انظر أيضا طقوش، ص 64.

[4] **مازدان**: "طبرستان الحالية كانت منطقة الجبال العالية ويتألف معظمها مما يعرف اليوم بجبال ألبرز". **بلدان الخلافة**، كي ليسترنغ، تر: بشير فرانسيس كوركيس عواد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1985م، ص409.

[5] طقوش، المرجع السابق، ص67.وعبد العزيز فهمي، مرجع سابق، ص73.

فيذكر النسوي في تولية جلال الدين قول أبيه كالأتي:"**إن عرى السلطنة قد انفصمت والدولة قد وهنت قواعدها وتهدمت وهذا العدو قد تأكدت أسبابه وتشبثت بالملك أظفاره وتعلقت أنيابه وليس يأخذ ثأري منه إلا ولدي منكبرتي وها أنا ذا موليه العهد فعليكما بطاعته والانخراط في سلك أتباعه**[1]،فاتخذ منكبرتي غزنة قاعدة للنضال الإسلامي ضد المغول فواجه من خلاله جيوش المغول التي كانت وقتها قد بسطت نفوذها على خوارزم[2]،وعلى خراسان، في حصار قلعة واليان في طخرستان وأحرز نصرا عليهم إذ أسفرت المعركة على تشتت الجيش المغولي، لكن جنكيزخان بعد إسقاطه للطالقان أصبح محررا ليزحف لمواجهة منكبرتي لكن هذا الأخير لم يواجهه بسبب النزاعات التي كانت قائمة في جيشه،ودخل على اثر هذا النصر الحتمي جنكيزخان مدينة غزنة فكان بهذا إقليم غزنة أخر الأقاليم التي خضعت للمغول لان جنكيزخان رجع لمنغوليا بسبب الاضطرابات هناك سنة(619هـ-1222م)[3].

بعد أن توجه جنكيزخان لمنغوليا واصل مواجهته لقبائل التانجوت كما واصل الغزو في اتجاه الأقاليم الشمالية الغربية وجنوبي روسيا وبعد وفاته تولى أبنه أوكتاي لمقاليد الحكم واصل على نهج أبيه في عمليات الغزو والاجتياح حتى وصول عهد منكو بن تولوي بن جنكيزخان الذي أعاد تحديد عمليات الغزو في الجانب الغربي[4].

فعين أخاه هولاكو حاكما على فارس وكلفه بالقضاء على الحشيشة في مازندان والخلافة العباسية في بغداد فضلا على الاستيلاء على بلاد الشام ومصر، أماكن طائفة الحشيشة[5]، فقد أدرك منكو أن هذه الطائفة تشكل عقبة أمامه وتحول دون وصوله للقسم الغربي من العالم الإسلامي في أسيا فجهز منكو كل ما يلزم للحملة ورسم خطة محكمة لهولاكو يسير عليها وهذا ما حصل إذ غادر

---

[1] محمد أحمد النسوي، **سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي**، تح: أحمد حمدي حافظ، دار الفكر العربي، القاهرة، 1953،ص 120.

[2] خوارزم: إقليم يقع في المجرى الأسفل لنهر أمودايا، وكان نهر جيحون يعد الحد الفاصل الأقوام الناطقة بالفارسية والناطقة بالتركية، حسن الأمين **الإسماعيليون ونصر الدين الطوسي**، ط1، دار الغدير، بيروت، لبنان،1997م، ص60.

[3] طقوش، مرجع سابق، ص69.

[4] نفسه، ص 83 – 105.انضر الملحق ،شكل 03،ص90.

[5] **الحشيشة**: "ويقصد بها الحشاشون وهي فرقة فدائية من الإسماعيلية الباطنية، كانت الجناح العسكري للنزارية داعيها الحسن الصباح و موطنها قلعة الموت". عبد المنعم الحنفي **موسوعة المذاهب و الفرق و الجماعات و المذاهب الإسلامية**، ، ط1، دار الرشيد ،مصر، القاهرة، 1993م، ص388.

هولاكو عاصمة المغول في قراقوم سنة 650 هـ وتوجه لقلاع الحشيشة واستولى عليها تبعا وكان زعيمها حينها ركن الدين خورشاه[1]

**د. إسقاط بغداد :**

بعد أن فرغ هولاكو من القضاء على فرقة الحشيشة توجه لغزو بغداد والإطاحة بالخلافة الإسلامية فأرسل رسالة إلى الخليفة المستعصم صاغها بالتهديد والوعيد بسبب امتناعه عن مساعدته عند مواجهته للحشيشة وعدم إرسال المدد له وكان نص الرسالة كالآتي: كما أورده الهمذاني"... **ولابد انه قد بلغ سمعك على لسان الخاص والعام ما حل بالعالم والعالمين على يد الجيش المغولي منذ عهد جنكيزخان إلى اليوم والذي حاق الخوارزمية والسلجوقية وملوك الديالمة و الاتابكة وغيرهم ممن كانوا ذوي عظمة وشوكة وذلك بحول الله القديم الدائم ولم يكن باب بغداد مغلقا في وجه أية طائفة من الطوائف واتخذوا منها قاعدة ملك لهم فكيف يغلق في وجهنا رغم ما لنا من قدرة وسلطان؟ ولقد نصحناك من قبل والآن نقول لك احذر الحقد والخصام ولا تضرب المخصف بقبضة يدك ولا تلطخ الشمس بالوحل فتتعب،ومع هذا فقد مضى ما مضى فإذا أطاع الخليفة فليهدم الحصون ويردم الخنادق ويسلم البلاد لابنه ويحضر لمقابلتنا وإذ لم يرد الحضور فليرسل كلا من الوزير وسليمان شاه والد واتدار ليبلغوه رسالتنا دون زيارة أو نقص فإذا استجاب لأمرنا فلن يكون من واجبنا أن نكن له الحقد وسنبقى له على دولته وجيشه ورعيته أما إذا لم يصغ إلى النصح وأثار الخلاف والجدال فليخبئ الجند وليعين ساحة القتال فإننا متأهبون لمحاربته وواقفون له على استعداد وحينما أقود الجيش إلى بغداد مندفعا بسورة الغضب فانك لو كنت مختفيا في السماء أو في الأرض فإذا أردت أن تحفظ راسك وأسرتك فاستمع لنصحي بسمع العقل والذكاء وإلا فسأرى كيف تكون إرادة الله**[2] ".

[1] طقوش، مرجع سابق، ص 136.

[2] رشيد الدين فضل الله الهمذاني(718هـ)، **جامع التواريخ تاريخ المغول**، تر: محمد صادق نشأت، فؤاد عبد المعطي الصياد، دار الكتب العربية، م2، ج2، ص 268 – 269 .

فرد الخليفة بالرفض على هذا التحذير الرسمي من المغول وعارض إمبراطورتيهم بالسيادة الروحية للخلافة الإسلامية[1].

وبعد العديد من المراسلات بين الطرفين حشد هولاكو جيوشه وتوجه إلى بغداد فعسكر بظهر بغداد من الشرق و في يوم 22 محرم سنة 656 هـ احكم هولاكو الحصار على بغداد من ولمدة شهر خرب الجنود الجزء الشرقي من حصن المدينة فاستلم الخليفة وأرسل لهولاكو وزيريه سليمان شاه والد واتدار كي ينفيهما لمصر والشام ولكن هولاكو قتلهما ومن معهما من أقارب وأتباع، وفي يوم الأحد الرابع من صفر سنة 656 هـ، 10 فبراير 1258 م خرج الخليفة من بغداد وسلم نفسه وعاصمته للمغول دون قيد أو شرط بعد أن وعده هولاكو بالأمان[2].

تكملة سقوط بغداد:

وعندما دخل هولاكو مدينة بغداد قصد قصر الخلافة وجلس في الميمنة و احتفل مع الأمراء بذلك اليوم، وأخيرا بعد أن سفك هولاكو من الدماء ما سفك و بعد أن خرب ما خرب أصدر أمره بالكف عن القتل وبأن يتصرف كل إلى عمله يقول أبن كثير: "ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير و القنى و المقابر كأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم وقد أنكر بعضهم بعضا فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه وأخذهم الوباء الشديد فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى[3]"

كان لسقوط بغداد أثر كبير في خضوع أمراء آسيا إذ أسرع إليه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل في هذه السنة معلنا خضوعه وولائه كما سارع إلى إعلان هذا الخضوع الأتباك أبو بكر بن سعد صاحب فارس وأسرع سلطان سلاجقة الروم لمقابلته بالقرب من مدينة تبريز أما البلاد التي لم تسارع إلى التسليم فقد استولى عليها المغول عنوة ولا يفوتنا أن نذكر في هذا المقام أن سقوط الخلافة العباسية من بغداد كان سببا في انتقال مركز الخلافة إلى مصر التي أصبحت قبلة أنظار المسلمين في جميع أنحاء العالم[4].

---

[1] الصياد ،مرجع سابق،ص256.

[2] عباس العزاوي المحامي، **موسوعة تاريخ العراق بين الاحتلالين**،ط1،الدار العربية للموسوعات ،بيروت لبنان،2004،م1، ص37، أنظر الملحق03 ص98.

[3] الصياد، مرجع سابق، ص266.

[4] حمدي، مرجع سابق، ص275.

**ثانيا. الحياة الاجتماعية عند المغول:**

تعددت الطبقات القبائل في المجتمع المغولي كغيره من المجتمعات فأدى هذا التنوع إلى زخم ثقافي كبير.

**1. طبقات المجتمع المغولي:**

كان المجتمع المغولي يقوم على الطبقية فقد كانت القبيلة مقسمة إلى ثلاث طبقات:

**-طبقة النبلاء** : و كانوا يلقبون بالألقاب" بهادر" أي الباسل و " توبان " أي النبيل و " ستسن "أي الحكيم .

**-طبقة النكور** :أي الأحرار و على هؤلاء كان يرتكز النظام العسكري والسياسي في منغوليا، زمن جنكيز خان وكانوا يؤلفون طبقة المحاربين و الموالين له .

**-طبقة العامة و طبقة الأرقاء:** و كان لكل جماعة أو عشيرة عند المغول رئيسا، قد يكون " ملكا " " خان، قان "أو زعيما"باكي أو بيكي'و بهذا اشتهر رؤساء القبائل الغالبة أمثال" أويرات والمركيت".[1]

يتألف مجتمع المغول من أربع طبقات متميزة :

الارستقراطية الحاكمة، والرجال الأحرار أو المحاربون، وعامة الشعب والعبيد الذين يشملون إلى حد ما الخدام و الصناعيين اليدويين [2].

**2. تقاليد المغول:**

كان للمغول رسوم وتقاليد وآداب تتفق وحياتهم الفطرية البسيطة الخالية من التكلف والتعقيد، وسرعان ما سرت هذه العادات في المناطق المجاورة للمغول، وسادت جميع القبائل الأخرى التي انطوت تحت لوائهم، ذلك لان هذه القبائل جميعها كانت تعيش عيشة بدوية واحدة بسبب اتخاذها في العنصر و الأصل [3]، وعلى الرغم من أن البساطة في العيش كانت أهم مميزاتهم إلا أنهم اصطلحوا على بعض النظم و التقاليد التي ساروا عليها فيما بينهم وأولوها احترامهم، فكانت سر تقدمهم، وقد فرضت عليهم بيئتهم وحالة التنقل التي استلزمتها ظروفهم،أن يدربوا أنفسهم على حب المغامرة و مواجهة الشدائد بثغر باسم [4]، وهي ظاهرة تنفرد بها حياة البدو دائما، والتي تقوم على الرحلات البدوية المتكررة في طلب الرزق، و قد عرفت البداوة الصيد و الرعي و جمع الثمار و الزراعة المتنقلة،

---

[1] الصاوي، مرجع سابق، ص 32 .

[2] إدوَار برّوى وآخرون، **تاريخ الحضارات العام**، ط2، تر: يوسف أسعد داغر، فريد م داغر، منشورات عويدات، بيروت باريس،1986، م3،ص 366.

[3] الصياد، مرجع سابق، ص 329.

[4] حمدي، مرجع سابق، ص 241.

وهي تنطوي بطبيعتها على البداوة لأنها قائمة على التحرك والتنقل وعلى أن ما يميز ظاهرة البداوة من الحركة الموسمية من شأنه خلق نوعا ما من التداخل بينها و بين ظاهرة الهجرة لكنها قد تختلف من حيث أن الهجرة تفرض نقطة انطلاق و بداية ثابتة محددة سواء كانت الهجرة مؤقتة أو دائمة ونقطة الانطلاق والبداية في ابداوة تبدوا دائرية، فكل مستقر يمكن أن يكون في الوقت نفسه مهجرا، فمن العسير التفرقة بين المهجر والمستقر في حالة البداوة فالهجرة من مكان إلى مكان و عدم الاستقرار في مكان معين قد أصبحا من أهم الصفات التي يمتاز بها المجتمع المغولي [1] .

**أ. المسكن:**

عاش المغول في اسر أو منازل، حيث كان كل منزل يضم خيمة واحدة أو أكثر"يورتة" بحسب عدد الزوجات، وكانت الأسر تجتمع في عشائر لها شيوخ إجلاء وكانت العشائر التي تربطها صلات قرابة تشكل الوحدة القبلية وكانوا يتنقلون معا[2].

لم تكن بيوت المغول أحسن حال من بيوت غيرهم من البدو، إذ كانت تقام من الصوف وكانت طريقة إنشائها مختلفة كل الاختلاف بينما كانت بيوت غيرهم من البدو مبنية من أعلاها، كانت أعالي بيوت المغول على شكل نصف كرة لا تجرها الريح ولا تنقلب بسهولة ولو كانت العواصف الشديدة، وكان بسبب ذلك دافئة شتاءا معتدلة صيفا، كما كانت تشبه إناءا منقلبا قائما على حوائط دائرية من الصوف المثبت على هيكل من الألواح الخشبية المتصلة بعضها ببعض بقطع من جلود الحيوانات، وقد ذكر وليام الروبركي أن المغول كانوا يعملون ما يشبه الصناديق من النسيج المتين المغطى بالصوف ليضعوا فيها ما يخافون عليه العطب وأنهم كانوا يدهنونها بشحم الحيوانات أو بلبن البقر، حتى لا تتأثر بالماء، إذ عبروا بها الأنهار أو نزل عليها المطر، وأضاف إلى ذلك أن بعض بيوت المغول كانت كبيرة تجرها عند نقلها عربات يعلق في الواحدة اثنان وعشرون ثورا ، وبعضها الآخر صغير يكفي لنقلها ثور واحد أو على قول كريني تنقل على ظهور الجمال، وكانت أبواب بيوت المغول تتجه عادة إلى الجنوب تجنبا لريح الشمال والغرب القاسية، كما كانت النار تظل على الدوام مشتعلة في وسط البيت المغولي، أما ترتيب هذه البيوت من الداخل فكان بسيطا، فالحوائط تستعمل لتعليق الأسلحة والأواني الجلدية التي كانوا يضعون فيها الألبان ومستخرجاتها، وكانوا يضمون

[1] السيد، مرجع سابق، ص 115.

[2] هيلدا هوخام، **تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين**، تر: أشرف محمد كيلاني، المجلس الأعلى للثقافة ، ط1 ،القاهرة،2012، ص 223.

في الجزء الداخلي المواجه للباب فراش رب البيت ويخصصون الجانب الغربي من البيت للرجال والجانب الشرقي للنساء[1] .

ولديهم منازل دائرية مصنوعة من الخشب مغطاة باللباد وكانوا يحملونها معهم على عربات ذات أربع عجلات أينما ذهبوا، ويرجع ذلك إلى الإتقان الشديد و المهارة الفائقة في تركيب الإطارات من الأعواد الخشبية مما يجعلها خفيفة عند حملها، وفي كل مرة يبسطون فيها منزلهم و يقيمونه يتجه الباب جنوبا دائما، كما أن لديهم عربات ممتازة ذات عجلتين مغطاة باللباد الأسود وذات تصميم متقن بحيث أنه إذا استمر هطول المطر طوال الوقت فلن يبلل المطر أي شيء من العربة، وتقوم الثيران والجمال بجر هذه العربات، وفي هذه العربات يحملون زوجاتهم و أبناءهم وكل ما يحتاجونه في طريقهم من أدوات وأواني[2]،كان هذا كل ما ذكره ماركو بولو تاجر البندقية، كما كان بالقرب من الخيمة توجد عدة مقاعد يجلس عليها الرجال والفتيان المقاتلون والضيوف، أما النساء فلهن أن يجلسن على بعد في الجانب الأيسر ويباح للصبيان والبنات الجلوس حيث يتيسر لهم ذلك و بعد أن فتح جنكيزخان أقاليم الصين الشمالية، ارتفعت حياة العاهل المغولي و طرأ تطور كبير في مسكنه، فلم يعد يتخذ الخيمة المصنوعة من الجلد مقرا له بل صار يقيم سرادقا مرتفعا، مصنوعا من اللباد الأبيض، ومبطنا بالحرير، و إلى جانب المدخل، وضع منضدة من الفضة عليها لبن الخيل والفاكهة واللحوم حتى يأكل ويشرب كل من يأتي لمقابلته[3] .

وهم يقيمون بيوتهم من اللباد السميك، يجعلونه قبابا تستوي على جدار من القصب يشد بعضه إلى بعض بشرائح من لحاء الأشجار قد جدلت جدلا محكما، وفي الوسط من القبة يهيئون مكانا لنارهم التي تظل أبدا موقدة، ويجعلون تلقاءها في سماد القبة منفذا ينفذ منه الدخان ويجدد لهم الهواء، كما حاطوا تلك الجدر القصبية من الخارج باللباد فهم يحيطونها من الداخل بالجص ويجعلون لها ملاطا، يملأ ثغراتها ويستر عيوبها ويقيها من النار، ولقد هيأ لهم هذا الصقل لجدرانهم أن يرسموا عليها رسوما ويصورا صورا وينقشوا نقوشا، ليس إلا من وحي العقيدة الدينية، ومن وحي الخرافات والأساطير التي ملأت على أذانهم[4] .

---

[1] مصطفى طه بدر، **محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على المغول**، ط2، الهيئة المصرية للكتاب، 1999م، ص 81-82.

[2] هوخام، مرجع سابق، ص 223 .

[3] الصياد، مرجع سابق، ص 334 .

[4] ثروت عكاشة، **إعصار من الشرق جنكيزخان**، دار الشروق، ط5، ،بيروت، لبنان، 1992،ص 22-23 .

وقد وصفها هارولد لامت بأنها : " **كانت خيمة من لباد مثبت على هيكل من العماد المشبكة بالعوارض من الأعواد، وفي أعلاها كوة يتصاعد الدخان منها،وقد طليت بالنورة البيضاء و زيت بالرسوم و هي خيمة غريبة الطراز** [1] " .

كما شاع عن أمراء القبيلة الذهبية ولعهم بالولائم التي كانت تعد لنيل رضاهم أو كانوا يعدونها لنيل رضا بعضهم بعضا،وكانت تلك الولائم تقام في خيام باذخة، إذا لم ينقطع غرامهم بالخيمة في أي يوم من الأيام وتشهد حياة هولاكو في إيران على ذلك، إذ حفلت بالكثير من تلك الولائم التي بدد فيها تابعوه من الإداريين المحليين كميات وافرة من المال، لإرضاء ذوقه الميال إلى الترف والبذخ، وفي سمرقند نصب الحاكم المغولي لآسيا الوسطى مسعود بج خيمة منسوجة من قماش نسيج المشهور هو قماش موشى بالذهب والحرير، مع بطانة من اللباد الأبيض، من اجل حفلة ملكية استمرت أربعين يوما [2] .

**ب. الملبس:**

كانت ملابسهم بسيطة جدا تتفق والبيئة التي يعيشون فيها، وكانت في الغالب مصنوعة من أصواف أو وبر الإبل أو جلود الحيوانات[3]، وتتشابه ثياب رجالهم ونسائهم جميعا وهم لا يرتدون العباءات أو القبعات لكنهم يرتدون السترات المصنوعة بطريقة غريبة من قماش القرم القرمزي أو المقصب، ثيابهم يكسوها الشعر من الخارج و مفتوحة من الخلف وذات ذيول تتدلى إلى مآبضهم، وهم لا يغسلون ثيابهم ولا يسمحون بغسلها خاصة وقت الرعد[4]، ونادرا ما كانوا يستحمون لذلك اتصفوا بالقذارة والنتونة والنجاسة، ومما لا يذكر عنهم أنهم كانوا إذا مروا بمكان فان رائحتهم تلتصق به حتى مدة طويلة [5] .

وإذا كان القس وليام و كربيني قد ذكروا أنهم رأيا المغول يلبسون الحرير و الفراء الثمين ، فقد كان ذلك في القرن الثالث عشر ميلادي بعد أن صارت لهم إمبراطورية واسعة الأرجاء وبعد أن

---

[1] هارولد لامث، **جنكيزخان إمبراطور الناس كلهم**، ص 8 .

[2] لاين، مرجع سابق، ص 105 -106.

[3] فهمي، مرجع سابق، ص 21.

[4] الصلابي، مرجع سابق، ص34 .

[5] الصياد، مرجع سابق، ص 332.

صاروا يستوردون الحرير من الصين وفارس والفراء الثمين من روسيا وغيرها من جهات أوروبا التي كانت تدين لهم بالطاعة ويجب أن لا يصرفنا ذلك عن الحقيقة الواقفة التي هي بساطة ملابس المغول وحضارة صنفها وقذارتها ويرجع ذلك إلى أن المغول كانوا يغيرون ملابسهم في الصيف مرة كل شهر وفي الشتاء لا يغيرونها أبدا[1]،وكانت النساء يلبسن الملابس الحريرية التي يحصلن عليها عن طريق المقايضة من التجار المسلمين[2].

**ج.المأكل:**

كان المغول يتغذون بلحوم الحيوانات على اختلافها من خيول وكلاب وثعالب وفئران، وغذاؤهم قليل خاصة في فصل الشتاء إذ تقسوا عليهم الطبيعة، ولهم طريقة في حفظ اللحوم، وهي انه إذا مات عندهم حيوان قطعوا لحمه شرائح رقيقة وعلقوها في الشمس والهواء لتجف دون أن تعتريها العفونة [3]، وكانت لهم المهارة في الرماية وصيد الأسماك ورعاية الماشية، وقد يقضون الليالي الطوال سائرين على الثلوج بحثا عن طعامهم دون أن يوقدوا نارا للتدفئة ، إذ أن عنايتهم بالقوت أكثر من عنايتهم بالدفء والمغول يستطيعون الصيد على الجوع فلا يأكلون طعاما مطهيا لثلاثة أيام أو أربعة ، ولا شك أن هذه القدرة العجيبة قد إفادتهم في الحروب لان الجندي في معارك القتال يكون مهتما بالنزال والطعان ، أكثر من اهتمامه بالطعام وملء البطون ، وبسبب ندرة اللحم في فصل الشتاء يستعين المغول عنه باللبن الرائب، أما ألبان الأفراس فقد كانوا يستخرجون منها ما يعرف بالقميز،[4] وأيضا يأكلون لحوم الحيوانات الميتة ولحوم البشر خاصة من أعداءهم وقد ذكر هوارث ذلك بصراحة فقال :" **كان من عادة المغول أكل لحوم أعدائهم شرب دمائهم وأيضا إن المغول في إحدى غزواتهم في الصين ضحوا بواحد كل عشرة رجال في جيوشهم عندما نفذ طعامهم ليكون طعاما للباقين** [5] " .

---

[1] هوخام، مرجع سابق، ص 225 .

[2] بدر، مرجع سابق، ص 79-80.

[3] إسماعيل عبد العزيز خالدي، **العالم الإسلامي و الغزو المغولي**،ط1،مكتبة الفلاح، الكويت،1984،ص 31 .

[4] **قميز**:"لبن حامض وهو في الأصل **عبارة** عن لبن الأفراس توضع في قراب ثم تضخ بشدة وتترك حتى تخمر فتصبح صالحة للشرب" رشيد الدين فضل الله الهمذاني، **جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان)**، تر: فؤاد عبد المعطي الصياد، دار النهضة العربية ،ط1،بيروت، لبنان،1983، ص60.

[5] فهمي، مرجع سابق، ص 20.

كما أن المغول لا يتقيدون بنظام معين في مأكلهم بل ينتقلون، شأن كافة البدو الرحل مع التقتير إلى الإفراط في تناول الطعام ، فكل عيد وكل حدث سار مناسبة لإقامة الولائم ، يتغذون من لحم الحصان أو الضأن مسلوقا أو مشويا، واللبن الخاثر، والثوم والبصل ونوعا من الزبدة المضروبة في أوعية خشبية بواسطة عصا مجهزة جزئيا بقطعة من جلد، أما إذا مست الحاجة، فإنهم يكتفون بالغبيراء والعنيبات البرية والجذور الصالحة للأكل[1].

وعن آدابهم في الطعام يقول القلقشندي " **ومن آدابهم المستعملة أن لا يأكل احد من يد أحد طعاما حتى يأكل المطعم منه و لو كان أمير و الآكل أسير، ولا يختص احد بالأكل وحده بل يطعم كل من وقع بصره عليه، ولا يمتاز أمير بالشبع من الزاد ، دون أصحابه بل يقسمونه بالسوية ، ولا يخطوا أحد موقد نار و لا طبق رآه ، ومن اجتاز بقوم يأكلون فله أن يجلس إليهم و يأكل معهم من غير إذن**[2] " .

وكان أول من تأثر بهذه العادات المغولية هم سلاطين المماليك أنفسهم الذين كانوا هم أيضا قد تربوا أو نشؤ في كنفها في بلاد القفجاق مثل أكل لحوم الخيل في الحفلات، و المناسبات التي كانوا يقيمها سلاطين المماليك وكان لحم الخيل هو الطعام الرئيسي المفضل لدى المغول كما أكد ذلك ابن بطوطة أثناء رحلته في بلاد الأوزبك و شرق أوروبا أي في بلاد قبيلة القفجاق الذهبية التي سبق وقد اعتنق أفرادها الإسلام في عهد بركة خان ، و يبدوا أن التأثير المغولي على المجتمع المملوكي لم يقتصر فقط على بعض الأطعمة المغولية بل امتد ليشمل بعض صناعة أنواع من الخمر ومن لبن الخيل بصفة خاصة والتي اقبل سلاطين و أمراء المماليك على تناولها أيضا في المناسبات وغير المناسبات [3] .

**د. الخرافات عند المغول :**

كان المغول يعتقدون أن للشياطين تأثير كبير على حياتهم وكانوا يخشون السحر ويخافونه، وكانوا ينظرون إلى طائفة الكهنة من البوذيين، على أنهم وحدهم هم الذين يستطيعون إبطال تأثير السحر ودفع ضرره، ويعرف كل واحد منهم باسم بخش، أما الساحر الملم بضروب السحر فيقال له قام، و لقد كان هؤلاء الكهان يدعون أنهم يستطيعون تسخير الشياطين، كما أن ذوي الأرواح الشريرة

[1] برّوى، مرجع سابق، ص 362 -363.

[2] القلقشندي، مصدر سابق، ص 311 .

[3] صلاح الدين محمد نوار، **الطوائف المغولية في مصر وتأثيراتها العسكرية والسياسية والاجتماعية واللغوية والعمرانية في عصر المماليك البحرية**، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص120.

يألفونهم ويتآمرون بأمرهم، وأنهم قادرون على التنبؤ بالغيب عن طريق تحضير الشياطين والأرواح لذا اعتاد المغول أن يتم تقرير الأمور تحت مشورة هؤلاء السحرة والكهنة [1]، وكان هؤلاء الكهان يعتمدون فيما يدلون به من أراء على أشكال الخطوط والشقوق التي تظهر على أكتاف الحيوانات المحروقة، ويعتبرون الحيوانات والوعول هي أصل الحيوانات لهذا الغرض، وخاصة إذا كانت مقدمة كقرابين للإلهة[2]،وكانوا يلجئون إلى طريقة بدائية يعتقدون أنها تعينهم على التنبؤ بالغيب وكشف الأسرار، و تلخص في أنهم كانوا يضعون عظم كتف الخروف مدة في النار حتى يسود، ثم ينظرون فيه بدقة، فإذا كان العظم سليما لم تؤثر فيه النار ولم يحدث فيه كسر، عرفوا أن إبرام هذا الأمر سوف يأّتي وفق المرام فيمضون في طريقهم ، أما إذا جاءت النتيجة بخلاف ذلك، وانكسرت العظام أو احترقت، عرفوا أن ما يقدمون عليه سوف لا تكون عاقبته سليمة فيمتنعون عن المضي فيه، كذلك كان المغول يفزعون من الرعد و البرق، فعند قصف الرعد أو ظهور البرق، كانوا يقفون مندهشين صامتين كأن على رؤوسهم الطير، وإذا اتفق أن أصابت صاعقة شخصا ولم يهلك، فان أفراد أسرته وقبيلته يطردونه على الفور، ولا يصرحون له بالعودة إلى الخيمة قبل مضي ثلاث سنوات[3].

ومن غرائبهم أيضا أنهم كانوا يتصورون أنه إذا جلس شخص في الماء وقت الربيع أو الصيف، أو غسل يده في النهر، أو وضع الماء في أواني ذهبية أو فضية أو ألقى بلباس مغسول في الصحراء، فانه ينتج عن هذا كله رعد و برق كثير، وهو أشد ما يخشاه المغول، وتجنبا لكل هذا نصت الياسا على عقوبات قاسية تنفذ فورا فيمن يقترف تلك الخطايا، وكان المغول يسمون تلك الأمور بقوة السماء الأبدية ولأنها قوة السماء التي لا يقدر على مقاومتها البشر، فهم يخافونها أكثر من أي شيء أخر، فمن السماء تأتي الأعاصير والرعد والبرق والعواصف الثلجية، ومن السماء أيضا يأتي دفء الربيع الذي يهب الحياة، والأمطار التي تغذي الحشائش وفي بعض الأوقات كان جنكيزخان يتجه بمفرده إلى قمة الجبل مرتفع، ليتضرع إلى هذه القوة الخطية في السماء قائلا : **ابعث إلي بأرواح طبقات الهواء العليا لتصادقني ، إما على الأرض الخفية فابعث إلي برجال يكونون عونا لي**[4].

[1] الصاوي، مرجع سابق، ص 139 –140 .

[2] فهمي، مرجع سابق، ص 25.

[3] الصياد، مرجع سابق، ص 354.

[4] الصاوي، المرجع السابق، 140 .

### 3. الديـــن وقوانين الياسا:

#### أ. الديـــن:

كان المغول في بادئ الأمر يدينون بالديانة الشامانية[1]، وخاصة في تلك الأيام التي كانوا فيها على بداوتهم وفطرتهم [2]، وقد كان المغول طبقا لعقائد الشامانية يعبدون كل شيء يسموا على مداركهم ويدق على أفئدتهم وكل ما يرهبهم ويدخل الخوف في أفئدتهم لهم آلهة في النهر والجبل والشجرة الكبيرة ولهم آلهة في الشمس والقمر ولهم آلهة في البرق الخاطف والرعد القاصف، بل ولهم آلهة في أيمانهم وشمائلهم وأمامهم وخلفهم وفوقهم وتحت أرجلهم ، إذ تقربوا إلى الجهة الجنوبية دل ذلك إلى احترامهم إلى للنار وإذ تقربوا إلى الشرق كان في ذلك احترامهم للهواء أما تقربهم إلى الغرب فكان فيهم احتراما للماء، وفي تقربهم للشمال كان احترامهم للأموات[3] . فقد قال ابن الأثير عن عقيدتهم : " **فإنهم يسجدون للشمس عند طلوعها و لا يحرمون شيئا منها فإنهم يكلون جميع الدواب حتى الكلاب و الخنازير و غيرها**"[4]. كما عرفها السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء " **فإنهم يسجدون للشمس عند طلوعها** " [5] .

وعلى الرغم من اعترافهم بإله عظيم قادر لا يؤدون له الصلوات يعبدون طائفة من آلهة الدنيا وبخاصة تلك الآلهة الشريرة التي كانوا يقدمون لها القرابين والضحايا لما كانوا يعتقدون فيها من سلطان وقدرة على إيذائهم ، كما كانوا يعبدون أرواح أجدادهم القدامى التي كانوا يعتبرونها ذات سلطان عظيم على حياة أعقابهم ولكي يوفق المغول بين هذه القوى السماوية و العالم السفلي فإنهم كانوا

---

1 الشامانية:"هي عبادة وثنية لبعض الآلهة الشريرة التي كان يخشاها المغول فعبدوها و قدموا إليها القرابين و الضحايا لإرضائها خوفا منها" أنظر السيد، مرجع سابق، ص 152.

2 حمدي، مرجع سابق، ص 278.

3 بدر، مرجع سابق، ص 82 – 83.

4 أبي الحسن ابن أبي الكريم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير (ت 630هـ)،**الكامل في التاريخ**، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط4، بيروت ،لبنان،م10، ص400.

5 الامام الحافظ جلال الدين عبد الرحمان ابن أبي بكر السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ط2، تح: محمد غسان نصوح و عزقول الحسيني، دار المنهاج، بيروت لبنان ، 2013، ص715 .

يلجئون إلى الكهنة و هم الشامان CHAMNS والسحرة أو إلى رجال الطب الذين كانوا يعتبرونهم ذوي نفوذ خفي وسلطان على عناصر الموتى وأرواحهم[1] .

كما كان وجود الشامان ضروريا للقيام ببعض الطقوس وتقديم بعض الذبائح وتفسير بعض الدلالات الطبيعية [2]، كما لم تكن ديانة المغول معدودة ضمن تلك الأديان التي تستطيع أن تقاوم جهود الأديان كثيرة الأتباع والأنصار ذات اللاهوت المنظم الذي يملك قوة الإقناع وسد حاجات العقل وذات الهيئات المنظمة للمعلمين الدينيين، تلك التي كانت تحيط بالمغول من اليهودية والمسيحية والإسلام [3] .

ومن خصائص المغول أنهم اشتهروا بالتسامح الديني، على إن ما جرى من تقليل ذلك التسامح، بأنه يرجع إلى ما اشتهر به المغول من عدم الاكتراث بالدين، يعتبر حكم لا يستند إلى أساس معين والراجح أن التسامح الديني لم يكن المقصود منه سوى الإفادة من الأشخاص الأكفاء مهما اختلفت دياناتهم[4]، وإذا بدأنا بزعيم هؤلاء المغول جنكيزخان وجدنا أنه لم يعترض لدين أحد وكفل لأهل الملك حريتهم الدينية[5]، وكذالك عبر سنوات متعاقبة على الإمبراطورية ورغم ظهور ديانات ومعتقدات مختلفة أعلن عنها رسميا في أنحاء المقاطعات المغولية الرئيسية، إلا أن المغول لم يعتنقوا دينا واحدا بعينه ولم يكن الدين محرضا على أعمالهم العدائية حتى واستخدم أحيانا كذريعة لتلك الأعمال، فقد اتبع حكامها سلوكا معتدلا ومتسامحا اتجاه معتقدات الناس سواء أكان داخل الإمبراطورية أو خارجها ولم يكن ذلك السلوك نابعا كليا من الآخرة، ولكنهم على الأرجح استغلوا اللعب على وتر الروحانيات فراهنو على جميع الحياد ليضمنوا عدم الخسارة، ومما عزز ذلك السلوك ،رغبة الخان في أن ينال دعاء جميع رعاياه من اجل دوام عافيته وبقائه حتى وان اختلفت أديانهم

[1] عادل إسماعيل محمود هلال، **العلاقات بين المغول و أوربا و أثرها على العالم الإسلامي**، ط1، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، 1997م، ص 167.

[2] بروى، مرجع سابق، ص 415.

[3] حسن، مرجع سابق، ص 122.

[4] العريني، مرجع سابق،ص26-27.

[5] ندا طه، **فصول في تاريخ الحضارة الإسلامية**، دار المعرفة الجامعية، مصر، الإسكندرية، 1993، ص 164.

ومعتقداتهم وتحقيقا لهذه الغاية سار الحكام مراكز الوعظ الديني وأصروا على إيداع حسن النوايا تجاه جميع الأديان[1].

فقد قال الصاحب علاء الدين بن عطا ملك الجوييني عن عقيدتهم إن الظاهر من عموم مذاهبهم الإدانة بوحدانية الله تعالى، وانه خلق السماوات والأرض وأنه يحيي ويميت ويغني ويفقر، ويعطي ويمنع وانه على كل شيء قدير، وأن منهم من دان باليهودية، ومنهم من دان بالنصرانية، ومنهم من اطرح الجميع ومنهم من تقرب بالأصنام[2] .

مع ازدياد تواصل المغول مع شعوب مناطق جديدة، بدأت بعض القبائل المغولية باعتناق أديان تلك الشعوب كالبوذية التي اخذ تأثيرها يظهر بعد توسع المغول جنوبا باتجاه الصين، والمسيحية التي بدأت على قبائل التركو مغولية باعتناقها منذ بدايات القرن الحادي عشر على الأقل، فبعض القبائل فائقة الصيت والجاه، مثل قبيلة النيمان و الكرابيت تحولت رسميا وكليا إلى الديانة المسيحية النسطورية[3]، واعتنقت المسيحية العديد من أفراد بعض القبائل الأخرى أيضا مثل قبيلتي الأنغوت و المركبيت كسورغاغتاي، بكي زوجة ابن جنكيزخان، والدة الخاقانات الكبار، مونكو، قبلاي، هولاكو، ودوكوز خاتون، والدة اباقاخان و كتبقاخان، قائد القوات المغولية في بلاد الشام، والذي تحالف مع الصليبيين لمحاربة العرب المسلمين [4]، وقد حلت البوذية محل الشامانية، انتشرت هذه الديانة سريعا بين طوائف المغول خاصة بعد أن استقرت في هضبة التبت، واخذ دعاتها يعملون على نشرها في الجزء الشرقي من آسيا ، وعندما اعتنق الخان الأعظم قوبيلاي هذه الديانة زاد نفوذها، كما كانت المسيحية قد وجدت لها مجالا خصبا بين المغول فاعتنقوا على المذهب النسطوري المنتشر آن ذاك [5] .

---

[1] لاين، مرجع سابق، ص251.

[2] القلقشندي، مصدر سابق، ص 310 .

3 النسطورية:"أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون و تصرف في الأناجيل بحكم رأيه فقال أن الله تعالى واحد ذو أقاليم ثلاثة: الوجود والعلم والحياة" الشهرستاني، **الملل والنحل**، تح: أمير علي مهنا، علي حسن فاعور، ط 3، دار المعرفة، ، بيروت، لبنان، ج1، 1993م، ص268-269.

[4] لاين، مرجع سابق، ص259-260.

[5] ريهام المشادي، **رحلة قبائل المغول من التمزق إلى التوحد**، دورية كان التاريخية، العدد الرابع، 2009م، ص 3 .

ويبدو لأول وهلة أن الإسلام لم يدخل إلى المغول إلا بعد أن دخل أحد أحفاد جنكيز خان في الإسلام و هو بركة بن جوجي بن جنكيزخان[1]، وممن المؤكد أن قبيلة تترية فشا فيها الإسلام، هي القبجاق أو القبيلة الذهبية، والتي برز دورها كقوة تدعوا إلى التقارب بين عين جالوت وخاض زعيمها بركة خان 655 هـ - 1266 م صراعا مع هولاكو وأعلن انتصاره عليه وسعيه إلى التحالف مع المماليك [2]كما تحولت بلاد القبجاق، بتعيين بركة خان على القبيلة الذهبية، تدريجيا إلى الإسلام وذلك بفضل تأثيره وهو الذي اعتنق الدين الإسلامي منذ طفولته ، وحفظ القرآن في شبابه على يد احد فقهاء مدينة خجند2، ومعنى ذلك انه اسلم قبل أن يتولى عرش مغول القبيلة الذهبية، وهو أول من اعتنق الإسلام من أسرة جنكيز خان [3].

ويقول القلقشندي أن:"**أول من اسلم من ملوك هذه المملكة من بني جنكيزخان بركة بن طوجي ابن جنكيز خان، وكان إسلامه قبل تملكه حين أرسله أخوه باطوخان لإجلاس منكوخان على كرسي جده جنكيز خان فاجله وعاد فمر في طريقه على الباخرزي شيخ الطريقة، فاسلم على يده وحسن إسلامه فأجلسه، ولم يملك بعد أخيه باطوخان إلا وهو مسلم، وتلاه من تلاه من ملوكهم بهذه المملكة في الإسلام حتى كان أزيك خان منهم فاخلص في إسلامه غاية الإخلاص ، والتظاهر بالديانة و التمسك بالشريعة و حافظ على الصلاة و داوم على الصيام**"[4]

كما أكد هذه الحقيقة وليم بروك حين ذكر أن بركة خان كان مسلما عام 651 هـ 1253 م،وفي هذه السنة مر فيها هذا المبعوث الأوروبي بلاد القفجاق في طريقه إلى قراقورم سفيرا إليها من قبل لويس التاسع ملك فرنسا، كما أفاد أن لحم الخنزير لم يكن يؤكل في معسكره، وكان هذا نتيجة إسلام بركة خان واعتلائه عرش حاشية مغول القبيلة الذهبية أن بدأت هذه الحاشية تأخذ شكلها ووضعها كدولة إسلامية، وبخاصة بعد ا نبنى لها عاصمة إسلامية هي سراي الجديدة والتي سمية فيما بعد سراي بركة والتي كانت مجاورة لسراي القديمة التي بناها أخوه باطو، وتقع المدينتان على الضفة الشرقية لنهر الفولغا قرب بحر قزوين، وربما كانت المدينتان مدينة واحدة، بدأ باطو في بنائها وأكمل بركة هذا البناء، والواقع أن بركة بذل جهدا كبيرا في الدفاع عن الإسلام ونشر الثقافة الإسلامية بين

[1] محمد علي البار، **كيف اسلم المغول**، دار الفتح للدراسات و النشر، ط1،عمان الأردن، 2008، ص 55 .

[2] عبدالله ناصر و عبود الحيايي، **ديانات التتر و أثرها في رسم سياساتهم و توجيه حروبهم**، مجلة جامعة الكويت للعلوم الانسانية، م 19، العدد 10،سنة 2012، ص 14 .

[3] محمد سهيل طقوش، **تاريخ المغول القبيلة الذهبية و الهند**، دار النفائس، ط1، بيروت، لبنان، 2007، ص16 .

[4] القلقشندي، مصدر سابق، ص 484 .

قومه من المغول والترك [1]، وفي إيران نفسها حيث حكم هولاكو وذريته الذين يعرفون بالإلخانيين فان الموقف تجاه الإسلام كان يختلف من ملك لأخر حتى عهد غازان حيث استقوى الأمر للإسلام وكان غازان خان(694 - 703 هـ/ 1295 - 1304م)،من الشخصيات البارزة في تاريخ الإسلام، وكان إسلامه نصرا للدين فإنه على اثر إسلامه دخلت القبائل المغولية في الإسلام وجعل الإسلام دين الدولة الرسمي[2].

**ب.القوانين التنظيمية : قانون " الياسا "**

اقتضت حياة المغول رغم بدائيتها وبساطتها أن تكون لهم قبل جنكيز خان مجموعة من الآداب والتقاليد لكنها لم تكن مدونة لأنهم كانوا يجهلون الكتابة [3] فلما جاء جنكيزخان أعاد النظر في هذه العادات ورد بعضها وقبل معظمها وأضاف إليها بعض الأحكام والقواعد ، وجعل لها صبغة رسمية وأمر بان يتعلم أطفال المغول الخط الاويغوري كما أمر بان تدون تلك النظم و الأحكام بهذا الخط وأن يحتفظ بها في خزائن أمراء المغول وقد أطلق على كل حكم من الأحكام والقواعد اسم" ياسا ".[4]

وقد استخلص جنكيز خان قواعد الياسا من تلقاء نفسه إذ يقول الجوييني : " ... **انه كان يعرف و يخترع تلقاء نفسه ما كان مذكورا من عادات جبابرة الأكاسرة وما كان مسطورا من رسوم و أساليب الفراعنة و القياصرة دونما حاجة إلى اقتفاء أثارهم أو تقصي أخبارهم وإما ما يتعلق بتدبير شؤون البلاد التي فتحها و كسر شوكة الأعادي و رفع درجة الموالين له فقد كان كل هذا من وحي ضميره و تأليف خاطره ....** [5] " .

لهذا ظلت الياسا لعهود طويلة المرجع الأعلى في التشريع لخانات المغول فكان احترامها مفروضا على الخانات والشعب وبهذا برزت الياسا الكبرى إلى الوجود ، التي تحدد العلاقة بين الحاكم والمحكومين وتنظم علاقة هؤلاء ببعضهم بعض وعلاقة الفرد بالمجتمع وتشمل على الأحكام التي تتعلق

[1] طقوش، تاريخ المغول القبيلة الذهبية و الهند، مرجع سابق، ص 16 .

[2] طه، مرجع سابق، ص 164-165 .

[3] أحمد عودات وآخرون ،**تاريخ المغول و المماليك من القرن السابع هجري حتى القرن الثالث عشر هجري**، دار الكندي، إربد، 1990،ص 53.

[4] الصياد، مرجع سابق، ص338.

[5] الجوييني، مصدر سابق، ص 62.

بالجزاء والعقاب وغالبا ما يكون ذلك بإعدام الشخص المذنب لذلك أضحى احد المعاني هذه الكلمة "ياسا "القتل والموت وتتلخص أحكامها في ثلاثة أمور هي :

**1** .الخضوع لجنكيز خان / 2 . الاتحاد في قبيلة واحدة / 3 . العقاب الصارم لكل مخطئ ، وبهذا نجد جنكيز خان قد وضع لكل أمر قانونا و لكل مصلحة دستورا واستن لكل ذب حدا و عقابا [1] فقد وضع قوانين " الياسا " سنة(603 هـ 1206م) بعد انتخابه خانا أعظم لأنه أدرك بثاقب فكره انه لا يمكن جمع كلمة هؤلاء القبليين المتعطشين للدماء إلا بتشريع قانون يلتفون حوله و ينزلون جميعا على حكمه ولا بد أن تكون مواد هذا القانون مشتملة على عقوبات فيها جد وصرامة توقع المذنبين في غير شفقة ولا رحمة لأن هؤلاء الإتباع إن تركوا وشأنهم يحيون حياتهم القديمة فإنهم يعودون إلى ماكانوا عليه من الفوضى وقتل بعضهم البعض والتطاحن من اجل الأسلاب والمراعي، فاستفاد المغول من هذا القانون إذ فض النزاع و الخصام بينهم كانوا يعيشون كقطعان الذئاب وأصبحوا قوة لا يستهان بها مؤلفة من جيش منظم يغير على الأمم المتحضرة ويغزوها[2].

كما ألغى المغول دفتر العرض وعزلوا أصحابه وقسموا الخلائق إلى مجموعات تضم كل مجموعة عشرة وعينوا كل واحد من كل عشرة أميرا على التسعة الباقين واختاروا واحدا من بين كل عشرة أمراء وأسموه أمير المائة واخضعوا المائة كلها لأمره وتمضي هذه النسبة حتى الألف فإذا ما وصلت إلى عشرة ألاف نصبوا عليهم أميرا يدعوه التومان[3]، و من القوانين التي سنتها الياسا تحريم انتقال أي فرد من الألف أو المائة أو العشرة من مكانه الذي أحصى فيه إلى مكان أخر[4].

كما استحدثت الياسا نظام البريد إذ ظهر بعد أن اتسعت دولة المغول وترامت أطرافها فأصبح من الضروري معرفة أحوال أعدائهم و أخبارهم لهذا أقاموا على طول البلاد وعرضها نزلا للبريد (يامها) واعد الترتيبات اللازمة لكل نزل وعينوا له ما يلزم من الرجال والحيوانات والمأكولات و

[1] طقوش، مرجع سابق،ص 36 ، انظر العريني، مرجع سابق، ص 148.

[2] الصياد، مرجع سابق، ص 339.

[3] التومان:" التومان في الأعداد المغولية يساوي 10000 " الهمذاني، (**تاريخ خلفاء جنكيزخان**)، مصدر سابق، ص 33

[4] الجوزاني، مصدر سابق، ص228.

المشروبات وسائر الآلات الأخرى ووزعوها على التومنات و عينوا لكل تومانين نزلا واحدا وأصبحوا يوزعون الأموال وفقا لعدد النفوس، ويتفقدون دور البريد عام بعد عام[1].

كما اتخذ المغول صبغة أخرى لقوانينهم تمثلت في تسجيل أقوال ملوكهم و تعليقها بعد موتهم ، وهذا القسم أحاديث المغول كان يقدره رعاياهم وينزلونه منزلة الاحترام وكانوا يطلقون عليه كلمة بيليك بمعنى حكمة "و قد جمعت حكم جنكيز خان بيلكهاي جنكيز وأصبحت مرجعا يعادل قيمة الياسا ومن هذه الحكم التي وردت على لسان جنكيز:

-لا يؤذ بعضكم بعض على أمور الدنيا فإذا شعر بعضكم بألم من الأخر فليسارع لإزالته حالا لتكونوا بمأمن من شرور الأعداء أن من يدير بيته أحسن تدبير يتمكن من إدارة المملكة .

-من تمكن من إدارة عشرة أفراد و أحسن سوقهم يتيسر له سوق جيش عظيم .

-من تمكن من نظافة بيته يستطيع أن يحرس حكومته من السراق و أهل الشقاء[2] .

ويقول القلقشندي في هذا السياق عن قانون جنكيز خان " .... **منهاج ياسا التي قررها و هي قوانين خمنها من عقله و قررها من ذهنه رتب فيها أحكاما وحدد فيها حدودا ربما وافق القليل منها الشريفة المحمدية و أكثر مخالف لذلك سماها الياسا الكبرى وقد اكتتبها وأمر أن تجعل في خزانة لتوارث عنه في أعقابه وان يتعلمها صغار أهل بيته ،منها أن من زنى قتل و من أعان احد خصمين على الآخر قتل و من بال في الماء قتل ومن أعطى بضاعة فخسر فأعطى ثانيا فخسر ثم أعطى ثالثا فخسر قتل، ومن وقع حمله أو قوسه فمر عليه غيره و لم ينزل لمساعدته قتل ومن وجد أسيرا أو هاربا أو عبدا و لم يرده قتل ، ومن اطعم أسير قوم أو سقاه أو كساه بغير إذنهم قتل إلى غير ذلك من الأمور التي رتبها مما هم دائنون به الآن وربما دان به من تحلى بحلية الإسلام من ملوكهم ومن معتقداتهم وذبح الحيوان أن تلف قوائمه و يشق جوفه ويدخل احدهم يده إلى قلبه فيمرسه بيده حتى يموت أو يخرج قلبه ومن ذبح ذبحة المسلمين ذبح "،و عليه أصبحت الياسا الجنكيزخانية موضع احترام بالغ يكاد يصل إلى القدسية بين المغول ولم يكن احد يجرؤ على معارضة موادها وحتى بعد سقوط ملك أبنائه في**

[1] الجوزجاني، المصدر السابق، ص 229 ،أنظر العزاوي ،مرجع سابق، ص 131.

[2] الصياد، مرجع سابق، ص 350 -151.

**إيران ظلت الأحكام الجنكيزية موضع احترام من جانب التيموريين حيث كانت قواعدها تطبق في إدارة شؤون السياسة**[1]" .

## 4. الزواج والأسرة:

### أ. الزواج عند المغول :

كانت حياة المغول بسيطة فطرية وكان لها من القوانين ما يناسبها في البساطة ولو أننا تناولنا القوانين التي كانت تنظم حياتهم الزوجية بالبحث لظهر لنا بكل وضوح أنها كانت بدائية لا اثر فيها لإعمال الفكر الناضج فلا هي بالتي كانت تقدر الزواج حق قدره ولا هي بالتي كانت تقدم للزوجة من الحقوق ما يكفل لها السعادة[2].

أما عن الزواج و تقاليد الزواج عند المغول فرغم تحرر المرأة المغولية و تمتعها بنفوذ عظيم فإن المغول عرفوا كما هو الحال بين الشعوب البدائية تعدد الزوجات ومارسوه بحرية قبل الإسلام وبعد الإسلام وكان الرجل منهم يتزوج ما يحلوا له من النساء إلا أن الزوجة الأولى لها المكانة الأكبر بين الزوجات الأخريات فتعدد الزوجات كان ظاهرة شائعة [3] .

فكان للخان أن يتزوج بمن يشاء من النساء وكان يأخذ بمبدأ تعدد الزوجات والعادة المتبعة انه إذا تغلب على ملك أو أمير أو عقد معه إتحادا أو تحالفا فانه كان يتزوج من ابنته أو أخته أما إذا تغلب عليه وقتله فكان يتزوج من امرأته وكان جنكيز خان يسير على تلك الطريقة ويقال أن عدد زوجاته يزيد على 500 زوجة ، ولما كان المغول يتزوجون من عدة نساء فإنهم كانوا يخضلون أبناءهم من الزوجة التي يؤثرونها على غيرها من النساء وبعد موت الخان كانت تؤول جميع نسائه إلى اكبر أبنائه وله الحق في أن يتزوج بمن يشاء منهن وذلك باستثناء والدته [4] .

---

[1] عباس إقبال، **تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية**، عبد الوهاب،علوب،المجمع الثقافي ابو ظبي، 2000،ص 113 – 114.

[2] طه بدر، مرجع سابق، ص 80.

[3] صلاح الدين محمد نوار، **المرأة المغولية و دورها في المجتمع المغولي**، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1999، ص 155.

[4] الصياد ،مرجع سابق، ص 352. انظر الصاوي، مرجع سابق، ص 139.

كما أن له أن يمنحن لأصدقائه أو يطلق سراحهن إما عن مجموع الأبناء والأقارب والأشخاص الذين هم من عشيرة الخان أو الأمير فقد كان يطلق عليهم كلمة " اروغ " بمعنى عشيرة أو سلالة إما رعايا الخان الذين يخضعون لسيطرته فقد كان يطلق عليهم لفظة " أولوس"[1] .

ولكن المؤرخ ابن الأثير ينفي فكرة قدسية الزواج عند المغول فيقول:" **لا يعرفون نكاحا بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال فان جاء الولد لا يعرف أباه**"[2].

ووافقه على هذا ابن العبري فقال " **و من عاداتهم انه إذا ولدت لأحدهم ابنة وقف على باب بيته و صاح قائلا : من يخطب هذه البنت ؟ فإذا قرر احد خطبتها تركها حية و إلا قتلها و لهذا السبب نساؤهم قلائل وقد تكون المرأة لجميع رجال البيت الواحد وإذا غشيها الواحد منهم ترك حذاءه عند الباب لئلا يدخل احد غيره ريثما يخرج هو فيدخل الثاني أما الولد الذي يولد فيكون الكبير فيهم أباه**[3] " .

ويؤكد على الرأيين السابقين الجوييني إذ نجد انه رغم تحريم الزنا ضمن قوانين الياسا الجنكيزخانية التي سبق ذكرها إلا أنها تظهر في ضرب من ضروب حياتهم وفي هذا السياق يقول الجوييني :" **والأمر الأخر من قوانين الياسا أنهم يجمعون كل فتاة حسناء تكون في الجيش ويوصلونها من العشرة على المائة وعلى كل شخص أن يجري اختبارا أخر حتى أمير التومان الذي يجري اختبارا بدوره بينهن ويرسل الفتيات المختارات إلى الخان أو الأمراء حيث يجرون عليهن الآية الكريمة :" إمساك بمعروف" و على الباقيات "**[4] **تسريح بإحسان** " [5] .

**ب.مراسيم الزواج عند المغول :**

عندما يعجب غلام بفتاة يبدأ والداهما إذا كانا موافقين على الزواج بالمفاوضات من خلال الخاطبات اللائي يكن عادة كبيرات في السن وفي حال وافق والد الفتاة يتلقى في زيارة ثانية يأتي فيها

[1] **اولوس**: "بمعنى قبيلة و طائفة و جماعة " الهمذاني، **تاريخ خلفاء جنكيزخان**، مصدر سابق، ص 22.

[2] أبي فرج عماد الدين ابن عبري، **تاريخ الزمان**، تر: الاب إسحاق أرملة، دار المشرق، بيروت لبنان، 1991، ص 245.

[3] ابن أثير، مصدر سابق، ص 400.

[4] سورة البقرة الاية 229.

[5] الجوييني، مصدر سابق، ج1، ص 72.

خمسة إلى ستة أشخاص ويدخلون الخيمة تجلس الخاطبتان أمام الباب ومعهم رجال مهمتهم إقرار المبلغ المستحق الذي يجب دفعه ويحصل الأب على كايلم وهو مهر الفتاة ،ودائما ما يدفع المهر بالخيول والأبقار والأغنامأو الحبوب ويعتمد المهر ساس على مدى ثراء الأسرتين ويتم تحديد موعد الزيارة الأخرى وينتهي بهذا العمل الخاطبات، وفي اليوم المتفق عليه يحضر الأقرباء والجيران من اجل وليمة يعدها والد الفتاة ويقام فيها الرقص والاحتفال دون حضور العريسين وفي اللقاء الثاني الذي يلي الاجتماع الأول ببضعة أسابيع يأتي العريس في صباح الباكر إلى والد العروس و يجلب ما يشبه الهدية وإذا كان غنيا فانه يذبح حصانا يقدم رأسه لوالد زوجته وتقدم الأضلاع لضيف الزفاف الأكثر تبجيلا ويتم إعداد الوليمة في الهواء الطلق وفي اليوم الثالث تأخذ العروس لبيت زوجها ويباركها ثلاثة رجال كبار في السن ويدعون للزوجين بالرخاء والسعادة وفي اليوم الرابع من مراسيم الزواج تذهب العروس لبيتها الجديد حيث تضرم النار وتسجد لها وترمي قطعة الزبدة فيها وتقطع قطع اللحم وتضعها في يد حميها كبرهان على كرمها أخر المراسيم أن تجلس على برميل من الحليب [1] .

ويقول جورج لاين عن مراسيم الزواج "**وعند إتمام عقد الزواج يتولى الأب مهمة المساومة بينما تتوارى الفتاة عن عيني أزواج المستقبل عند بعض الأقارب وبعد التوصل إلى اتفاق بعض الأقارب وبعد التوصل إلى اتفاق يعلن الأب خبر اختفاء ابنته طالبا من الخطيب البحث عنها قائلا :"إن ابنتي لك خذها إن عثرت عليها " فيمتطي الخطيب جواده وينطلق بصحبة أصدقائه للبحث عن خطيبته وحين يعثر عليها يتظاهر بالعنف ويجبرها على الركوب معه**[2] " .

**ج. الزوجات الأرامل :**

عندهم الأرامل لا يتزوجون بناءاً على إيمانهم بان من كان في خدمتهم في هذه الحياة سيخدمهم في الحياة القادمة وعلى هذا الأساس فان الأرملة بعد الموت ستعود لزوجها الأول انطلاقا من هذا المفهوم انتشرت بينهم عادة أن الابن الأكبر أحيانا يرث كل زوجات والده ما عدا أمه[3].

[1] جيرمايا كيرتن، **رحلة إلى جنوب سيبيريا المغول ودياناتهم وأساطيرهم**، تر: عدنان عبد الله، ص 110 – 111 .

[2] لاين، مرجع سابق، ص310 – 311.

[3] ي إكتشانون،**حياة تيموتجين جنكيز خان**، تر: طلحة طيب، مركز جمعة، دبي،2005، ص 65 .

والعرف المغولي منح المرأة المتزوجة حق ارث زوجها وأعطاها إمكانية أن تهب هذا الإرث حتى ولو كان الحاكم نفسه [1].

**د. الزواج الخرافي عند المغول :**

وهذا الزواج ذكره ماركو بولو في رحلته بعد أن زار المغول فقال : " **وإذا كان لرجل في الماضي ابنا وكان لرجل أخر ابنة و أن ربما كانا ميتين منذ بضعة أعوام فان لديهم عادة عقد القران بين طفليهما المتوفيين و منح البنت للشاب وهم يرسمون في الوقت نفسه على قطع الورق أشكالا بشرية لتمثل الخدم مع الخيل و غيرها من حيوان والثياب من جميع الأنواع والنقود وكل قطعة من قطع الأثاث ثم يلقون في اللهب بكل هذه الأوراق ومعها عقد الزواج الذي يحرر بالطريقة النظامية المقررة حتى يمكن نقل هذه الأشياء عن طريق الدخان المتصاعد(فيما يعتقدون) إلى أطفالهم في العالم الأخر وحتى يمكن أن يصبحا زوجا و زوجة بالشكل المطابق للعرف وبعد هذا الحفل يعتبر الوالدان والوالدتان أنفسهم أصهارا كأنما قامت رابطة حقيقية بين أطفالهم الأحياء**"[2].

**هـ. زواج المغول بعد الإسلام :**

إن الرجال في الدولة المغولية لم يكونوا مقيدين بالزواج من المغوليات في حين أن الأمر بالنسبة للإناث كان مقصورا على الزواج الداخلي أي لا يجوز للفتاة المغولية أن تتزوج رجلا ليس من العنصر المغولي إلا أن هذا الأمر بدأ يتغير تدريجيا بعد أن قامت للمغول دولة مترامية الأطراف وكانت هذه الدولة المغولية بحاجة إلى توثيق صلاتها بدول أخرى فوجد ما يمكن أن نسميه بالزواج السياسي في اتجاهين الأول زواج الحكام المغول من نساء غير مغوليات وهذا كان قديما أما الاتجاه الآخر و الجديد وهو السماح لنساء مغوليات ومن الأسر الحاكمة بالزواج من غير المغول [3] .

[1] محمد حسن عبد الكريم العمادي، **جوانب من حياة المرأة في العصر المغولي**، نعمان محمد أحمد جبران، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، جامعة قطر ،ص 298 .

[2] ماركو بولو، **رحلات ماركو بولو**، تر: عبد العزيز جاويد، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995، ج1، ص 147 .

[3] العمادي، مرجع سابق، ص 299 .

وتبدأ هذه الظاهرة في العصر المملوكي كما تذكر النصوص منذ وفود المغول الأوراتية أوالعويراتية إلى مصر عندما استقدمهم زين الدين كتباغا السلطان المملوكي المغولي الأويراتي، فتزوج على إثرها السلاطين المماليك من أميرات مغوليا كما أشارت بذلك المصادر المملوكية صحيح أن هذه الزيجات تمت لتحقيق أهداف سياسية غرضها تدعيم الصلات بين دولتي المماليك و القبجاق الذهبية إلا أن هذه الزيجات السياسية لها جانب اجتماعي هام أيضا فتعبر عن مدى التأثير المغولي على المجتمع المملوكي من هذا الجانب مثلما حدث في عام 716هـ عندما أراد الناصر محمد بن قلاوون أن يعقد معاهدة مع أوزبك خان مغول القبجاق فأرسل له رسالة تمثل طلبه في الزواج من بيت جنكيز خان و ذلك لتوثيق صلات الود بين الجانبين وهذا حصل فعلا إذ تزوج من ابنة أخ أوزبك خان.[1]

ويقول جورج لاين عن مراسيم الزواج " **وعند إتمام عقد الزواج يتولى الأب مهمة المساومة بينما تتوارى الفتاة عن عيني أزواج المستقبل عند بعض الأقارب وبعد التوصل إلى اتفاق بعض الأقارب و بعد التوصل إلى اتفاق يعلن الأب خبر اختفاء ابنته طالبا من الخطيب البحث عنها قائلا : " إن ابنتي لك خذها إن عثرت عليها " فيمتطي الخطيب جواده و ينطلق بصحبة أصدقائه للبحث عن خطيبته وحين يعثر عليها يتظاهر بالعنف و يجبرها على الركوب معه** [2] ".

**و. بنية العائلة :**

تتألف العائلة بشكل عام من جيلين من الكبار والعائلة العادية تتألف من الأب والأم وأولادهما غير المتزوجين وعادة يضل اصغر الأبناء مقيما مع عائلته حتى بعد أن يتزوج لأنه هو من سيرث ممتلكات العائلة حسب عاداتهم لم تكن الحياة سهلة قط على نساء المغول و خاصة في زمن العيش في السهوب و كان لهن الحق في التملك و مع ذلك لم يتمتعن بمساواة كاملة مع الرجال وبعض النساء كن يتمتعن بحقوقهن أكثر من النساء الأخريات ،ساهمت النساء في جميع الأعمال اليومية و لن بعض المهام اقتصر بها عليهن فكانت من مهامهن قيادة العربات الضخمة التي تحمل العوائل عليها أمتعتها وخيامها أما عن أعمال الرجال فهم يصنعون الرماح و السهام و لجائم الخيل و الأسرجة ويقوم بقص الأخشاب لدعائم خيامهم والعربات ويعتنون ويحلبون الأفراس ويصنعون القمز

[1] نوار، **الطوائف المغولية في مصر**، مرجع سابق، ص 128 -129.

[2] لاين، مرجع سابق، ص 310 – 311.

و الجلد الذي يمخضونه فيه كما يرعون الجمال ويقودونها ومن مهام الجنسين معا العناية بقطعان الخراف والماشية الأخرى وحلبها[1].

أما عن تربية الأطفال فكانت على الرغم من بساطة العيش عندهم إلا أنهم اصطلحوا على بعض النظم و التقاليد التي ساروا عليها فيما بينهم وأولها، احترامهم فكانت سر تقدمهم وقد فرضت عليهم بيئتهم وحالة التنقل التي استلزمتا ظروفهم أن يدربوا أنفسهم على حب المخاطرة و مواجهة الشدائد يظفر باسم وأن يغرسوا هذه الصفات لأطفالهم منذ نعومة أظافرهم فكانوا يدربونهم في سن الثالثة على استعمال القوس والنشاب ويدربونهم على صيد الأرانب و الفئران كما كان الكبار ظهور الجياد كان الأطفال يركبون الخراف ويتعلقون بصوفها وهكذا ينشأ الأطفال صحيحي الأجسام سليمي العقول يحترمون أنفسهم فيخدمون قبائلهم بقوة وحزم إذ ما ترعرعوا و كبروا [2] .

[1] لاين، مرجع سابق، ص 308- 310.

2 حمدي، مرجع سابق، ص240 – 241.

**ثالثا: مكانة المرأة ودورها الاجتماعي عند المغول:**

تمتعت المرأة المغولية بمكانة مرموقة في وسط مجتمعها وهذا أدى إلى ظهور دورها الاجتماعي في كل جوانبه.

## 1. المرأة في المجتمع المغولي:

### أ. طبقات النساء في المجتمع المغولي :

يحدثنا ابن بطوطة أثناء زيارته لمملكة مغول القبيلة الذهبية القبجاق عن طبقية المجتمع هناك وأن النساء أنفسهن ينقسمن إلى ثلاث طبقات في المجتمع تتميز كل واحدة من هاته الطبقات عن الأخرى فهناك طبقة نساء الخان المغولي الحاكم حيث يذكر أن كل ملكة أوخاتون تركب عربة وهذه العربة بمثابة بيت لها أو أحد بيوتها العديدة فتجلس وعن يمينها امرأة من القواعد تسمى أولون خاتون أي وزيرة الملكة وعن يمينها امرأة من القواعد تسمى "كلجك خاتون" أي حاجبة الملكة وبين يديها ست من الجواري الصغار يقال لهن البنات فائقات الحسن والجمال ومن ورائها اثنان منهن تستند إليهما[1].

أما نساء الطبقة الثانية فهن نساء الأمراء ونساء هذه الطبقة أيضا على جانب كبير من الأهمية وعلو المكانة الاجتماعية كما أكد ابن بطوطة فقد كانت الواحدة منهن تخرج من بيتها لتزور بيت صديقاتها أو لقضاء بعض شؤونها أو لتنزه أو تنزل من عربتها بعد رحلة تطول أو تقصر وهي كلها مجللة بالملف الأزرق الطيب وبين أيديها أربع جوار فاتنات الحسن بديعات الجمال وفي هذه الحالة تمشي المرأة المغولية وهي متبخترة وفي جلال عظيم يزداد أو يقل حسب مكانتها ومكانة زوجها [2] .

وجاء ذكرهم في رحلة بن بطوطة على النحو التالي : " ... **فأما نساء الأمراء فكانت أول رؤيتي لهن عند خروجي من القرم، رؤية الخاتون زوجة سلطية في عربة لها وكلها مجللة بالملف**

[1] صلاح الدين محمد نوار ،**المرأة و دورها في المجتمع المغولي، منشأة المعارف، ط1**، الإسكندرية، 1999، ص 147 .
[2] نفسه، ص 148.

**الأزرق الطيب وطيقان البيت مفتوحة وأبوابه وبين أيديها أربع جوار فاتنات الحسن بديعات اللباس وخلفها جملة من العربات فيها جوار يتبعنها ولما قربت من منزل الأمير نزلت عن العربة إلى الأرض ونزل معها نحو ثلاثين من الجواري يرفعن أذيالها ولأثوابها عرى تأخذ كل جارية بعروة ويرفعن الأذيال عن الأرض من كل جانب ومشت كذلك متبخترة فلما وصلت إلى الأمير قام إليها وسلم عليها وأجلسها إلى جانبه ودار بها جواريها وجاؤوا بروايا القمز فصبت منه في قدح وجلست على ركبتيها قدام الأمير وناولته القدح فشرب ثم سقت أخاها وسقاها الأمير وحضر الطعام فأكلت معه وأعطاها كسوة وانصرف"[1].**

أما نساء الطبقة الثالثة فهن نساء التجارة والباعة وأصحاب الأسواق وقد شاهدهن ابن بطوطة أيضا كما شاهد غيرهن ويحدثنا أن المرأة من نساء هذه الطبقة تكون في عربة من عرباتها الخاصة والخيل تجرها بين يديها الثلاث أو الأربع من الجواري وقد جعلن خصيصا لرفع أذيال ثيابها وقت نزولها أو تجوالها وفي حلها وترحالها وتأتي إحداهن على هذا الترتيب ومعها عبيدها بالغنم والبن فتبيعه من الناس بالسلع العطرية وكانت المرأة المغولية تخرج بنفسها تبيع وتشتري في الأسواق على النحو الذي أكده إبن بطوطة [2].إذ وصفهن في رحلته كما يلي : " **... و أما نساء الباعة والسوقة فرأيتهن وإحداهن تكون في العربة والخيل تجرها وبين يديها الثلاث أو الأربع من الجواري يرفعن أذيالها وعلى رأسها البغطاق وهو أقروف مرصع بالجواهر وفي أعلاه ريش الطواويس وتكون طيقان البيت مفتحة وهي بادية الوجه لأن نساء الأتراك لا يحتجبن وتأتي إحداهن على هذا الترتيب ومعها عبيدها بالغنم واللبن فتبيعه من الناس بالسلع العطرية وربما كان مع المرأة**

[1] ابن بطوطة (ت779هـ)، **تحفة الأنظار في عجائب الأمصار و غرائب الأسفار**، تح: حمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، ط1، بيروت لبنان، 1987م، ج1، ص336 .

2نوار، **المرأة ودورها في المجتمع المغولي**، مرجع سابق، ص148.

**منهن زوجها فيظنه من يراها بعض خدامها ولا يكون عليه من الثياب إلى فروة من جلد الغنم وفي رأسه قلنسوة تناسب ذلك فيسمونها الكلا[1]".**

**ب.معاملة المغول للنساء حسب الطبقات:**

أما فيما يخص التعامل الذي حظيت به كل طبقات النساء فنجد فيه الاختلاف الكثير بين كل طبقة ففي المجتمع المتقدم للمغول يظهر التفريق في المعاملة بين نساء الطبقة الأرستقراطية ( الطبقة الحاكمة و النبلاء ) و نساء وفتيات الطبقة العاملة في تلك الحادثة التي أوردها عمدة مؤرخي المغول رشيد الدين التي تؤكد مدى القسوة والوحشية في معاملة فتيات الطبقة الغير أرستقراطية خاصة عند مخالفة قبيلة هذه الفتيات تقاليد المغول وأوامر القآان وذلك أثناء قآنية أوكتاي بن جنكيزخان (627-642هـ/1229-2541م) عندما ذاع بأن القآن يريد أن يزوج بنات قبيلة الأويرات المغولية من رجال قبيلة أخرى فسارع أهو لهن بتزويجهن من رجال القبيلة نفسها أي تزويج البنات من نفس قبيلتهن فلما علم أوكتاي بذالك أمر بإحضار بنات القبيلة اللائي تجاوزن السابعة ثم أمر القآن أن يعزل منهن بنات الأمراء وأصدر قرارا بأن يتعدى على بقية الفتيات بصورة وحشية أمام أبائهن وأخواتهن وبعولتهن [2]، ثم أمر بتفريقهن بعد ذالك فأخذ البعض منهن إلى البلاد كمحظيات ووزع البعض الأخر منهن على الأمراء وعلى كل الحاضرين من المغول والمسلمين بينما أرسلت البقية إلى بيوت الدعارة والى محطات البريد لترفيه على رسل القآن[3]، فهذه الرواية تؤكد لنا التناقض بينما احتوت عليه قوانين الياسا ونصوص مصادر المغول والمصادر العربية والأوربية حول حرية وحقوق المرأة المغولية ومكانتها في المجتمع المغولي وتطبيق قاآنات المغول بما جاء في قوانين جنكيزخان حول المرأة وتؤكد تطبيق هذه القوانين على النساء الطبقة الأرستقراطية الحاكمة وطبقة النبلاء، فيحين أن هذا لا ينطبق على النساء من الطبقات الأدنى التي كن يعاملن كرقيق بل يعتدى عليهن بوحشية دون شفقة

---

1 ابن بطوطة، مصدر سابق، ص337 .

[2] نوار، **المرأة ودورها في المجتمع المغولي**، مرجع سابق، ص18-19 .

[3] بارتولد فاسيلي فلاديميروفيتش، **تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي**، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، شركة كاظمة، الكويت، 1981، ص651.

أو رحمة كما أن هذه الحاثة تؤكد من ناحية أخرى أن المغول من أجل تطبيقهم لشريعة جنكيزخان أو لقوانين الياسا وإرساء قواعد الإمبراطورية المغولية وإحترام التقاليد والأعراف التي أرساها فاتح العالم لم يتورعوا عن هتك الفتيات ضاربين ببعض نصوص الياسا نفسها عرض الحائط إذا كانت أحيانا تتعارض من مصلحة الدولة .[1]

## ج. المخصصات المالية للمرأة المغولية:

كان للمرأة المغولية إقطاعات ومرتبات خاصة بها،وقد تطرق ابن بطوطة في رحلة إلى أهمية المرأة عند المغول وعن الإقطاعيات والأراضي التي تجبى لحسابها[2] فيقول ابن بطوطة"**والنساء لدى الأتراك والتتر لهن حظ عظيم وهم إذا كتبوا أمراً يقولون فيه عن أمر السلطان والخواتين ولكل خاتون كثير من البلاد والولايات المجابي العظيمة..**"[3]

فقد كانت للمرأة المغولية أملاكها الخاصة وكان لها حرية التصرف فيما تملكه وما ترثه من زوجها وإلى جانب ذالك كانت التقاليد تقضي بأن المرأة من الطبقات الشريفة لا يجوز لها الزواج من رجل أقل منها حسباً، فقد كانت الخاتون تمنح راتباً سنوياً كبيراً لا يقل عن راتب بكلاري بك أي أمير الأمراء ونائب الخان ويزيد عن رواتب الوزير إذا كان راتب الأول ثلاث مائة تومان وراتب الثاني مائة وخمسون تومانا فإن راتب الخاتون كان مائتي تومان.[4]

ويقول القلقشندي "**وأما الخواتين فإنه يبلغ ما للخاتون الواحدة مائتي تومان وهو ألف دينار رابح عنها إثنا عشر ألف درهم وما دون ذالك إلى عشرين تومانا وهو مائتا ألف دينار عنها ألف ومائتا ألف..**"[5]

---

[1] نوار، **المرأة ودورها في المجتمع المغولي**، مرجع سابق، ص21.

[2] نرجس اسعد كدرو، **المرأة ودورها الحضاري في عصر المغول**، مكتبة الرسائل الرئيسة، جامعة عين الشمس، 2012، ص189 .

[3] ابن بطوطة، مصدر سابق، ص239.

[4] كدرو، **المرأة ودورها الحضاري في عصر المغولي**، المرجع السابق ، ص190.

[5] القلقشندي، مصدر سابق، ج4، ص426-425 .

كما يذكر القلقشندي في موضع آخر مدى نفوذ المرأة المغولية وقوتها في المجتمع المغولي عندما يشير إلى الخواتين من زوجات خانات المغول كانت لهن مخصصات مالية سنوية تضارع بل وتفوق مخصصات أزواجهن من حكام المغول.[1]

وفي عهد غازان (703هـ/1303م) تمتعت المرأة بأهمية كبيرة حيث قام غازان بعمل العديد من الإجراءات التي بإمكانها رفع مكانه المرأة وأعلاه شأنها ومن هذه الأعمال المهمة التي قام بها غازان أنه أمر بتوفير ما تحتاج إليه الخواتين من ملابس ودواب وكذلك النفقات اللازمة لدور الشاب والإسطبلات والإبل والبغال وملابس البنات والسادة والفراشين والطباخين والجالين والمكارين وغيرهم من الخدم والحشم،ثم أمر بإيداع ما تبقى في خزانة كل خاتون وأن تظبط الحسابات تماما ثم تختم بختمي الأميرين المعنيين على رأس كل جيش وعلى الجميع ألا يخرجوا عن حكم مرسوم السلطان حتى يكون هناك دائما رصيد في خزانة الخواتين يستفاد منه عند الضرورة[2]

**د. لباس المرأة المغولية :**

**– قبل الإسلام:**

من المعروف أن اللباس المغولي الذي عاش في منغوليا قبل وبعد ظهور المغول، وبروزهم كقوة سيادة وسلطة عالمية، كان مختلفاً عن لباس أخيه الذي خرج من عزلته في منغوليا لغزو أقاليم وبلدان شرقية وغربية كما يختلف لباس الرجل عما تلبسه المرأة المتزوجة أو غير المتزوجة، كما تختلف طريقة ارتداء ونوعية اللباس الذي يرتديه ويقيه لفحات الحرارة الشديدة في فصل الشتاء و لايحظ أن الرجال والنساء اللائي لم يتزوجن يرتدين نوعاً من اللباس شبيه بالثياب ولكنها مفتوحة من الخلف أو تكون على نفس النمط السابق.[3]

[1] نوار، **المرأة ودورها في المجتمع المغول**، مرجع سابق، ص13.

[2] كدرو، **المرأة ودورها الحضاري في عصر المغول**، مرجع سابق، ص190 .

[3] نوار، **المرأة ودورها في المجتمع المغولي**، المرجع السابق، ص162.

ويلاحظ من خلال وصف ملابس المغول أن النساء لبسن الملابس الحريرية[1] التي حصلن عليها عن طريق المقايضة مع التجار المسلمين على أنه لايكاد يوجد فرق كبير بين ملابس الرجال وملابس النساء ولما إنساح المغول في أرجاء الأرض وكونوا إمبراطورية واسعة صاروا يستوردون الحرير من الصين وإيران والفراء الثمين من روسيا وغيرها من جهات أوروبا التي كانت تدين لهم،وعلى هذا صاروا يصنعون ملابسهم من الحرير والفراء أيضاً[2]

وقد تغير ملابس النساء فيما بعد إلى رداء ومئزر يشبه ما ترتديه الراهبات غير أنه أوسع من جميع الجوانب وهو مفتوح من الأمام ومربوط من الجانب الأيمن ويصنعون على رؤوسهم أغطية مزينة يدعونها بوتا وهي مصنوعة من لحاء الشجر أو أي مادة خفيفة، والغطاء مستدير وفارغ ويصنعون على القلنسوة حزمة من الريش أو قصبة الخيزران بالطول نفسه ويزينون حزمة الريش بريش طاووس يثبتونه أعلاها ويصنعون على الجوانب ريش البط البري وأحجار كريمة وتربط بعض السيدات هذه الثياب على رؤوسهن على شكل قبعة من فتحة بالرداء لتلك القلنسوة تمر من خلالها ويربطونها تحت الذقن ويجري تغطية شعورهن بعد ربطها فوق رؤوسهن بالبوتا التي تجعلهن من بعيد كأنهم جنود يحملون حرابهم فوق خوذاتهم[3]

ويصف الجويني هذا التطور في الملبس المغولي بعد توحيد جينكيزخان لهم فيقول "..**وأصبحت حللهم اليومية مرصعة بالجواهر مطرزة بالذهب وقد رخصت الجواهر وسائر أنواع الأقمشة في الأسواق..**"[4]

[1] أنظر الملحق رقم:04،ص91.

[2] الصياد، مرجع سابق، ص332.

[3] كدرو، **المرأة ودورها الحضاري في عصر المغول**، مرجع سابق، ص 211.

[4] الجويني، مصدر سابق، ص62-63 ،أنظر الملحق: رقم 03، ص92.

**هـ. ملابس المرأة المتزوجة:**

تختلف ملابس المرأة من حيث الكيفية لا النوعية عن ملابس زوجها وكذلك عن المرأة التي لم تتزوج بعد، فالمرأة المتزوجة ترتدي بلوزة طويلة مفتوحة من الجهة الأمامية من الأعلى إلى الأسفل ومن حيث النوعية والكمية فلم يوجد فرق بين ما تلبسه المرأة وما يلبسه الرجل ولعل ما يميز بين الرجل والمرأة المتزوجة هو ما تلبسه الأخير على رأسها وهذا الغطاء الذي ترتديه يبلغ طوله ذرعا وتقوم المرأة بتغطية لباس رأسها الكبير هذا، إما ببقرم أو بمخمل أو رداء من الحرير ولا يمكن أن تخرج أمام الرجل دون أن تكون مرتدية هذا الغطاء والذي يميزها عن غيرها من النساء الأخريات اللواتي لم يتزوجن بعد[1]

أما النساء الثريات ذوات اليسار فإنهن يلبسن غطاء الرأس ذلك محلى بكثير من الزكرشة ثم يثبتن ذلك القضيب بإحكام إلى أسفل القلنسوة ذات الفتحة إلى الأعلى مخصصة لهذا الغرض ويصف وليم روبيرك شكل النساء اللواتي يرتدين هذا النوع من الغطاء على رأسهن قائلاً بأنهن عندما يركبن جيادهن يظهرن للرائي عن بعيد وكأنهن كتيبة عسكرية [2]

**و. ملابس المرأة الغير متزوجة:**

أما لباس المرأة الغير متزوجة فإنه لا يوجد فرق كبير بين ما تلبسه الفتاة وبين ما يلبسه الرجال كما ذكرنا آنفا إلا أن شعرها يكون أكثر طولاً من الرجل وفي اليوم التالي لزواجها تقوم بحلق شعرها من وسط الرأس إلى المقدمة ثم تضع عليه غطاء الرأس المذكور آنفاً لتصبح متميزة عن الرجل وعن اللواتي لم يتزوجن بعد ولتستطيع الظهور أما الرجل كغيرها من النساء المتزوجات، وبذلك تكون قد انضمت إلى قافلة النساء المتزوجات.[3]

[1] نوار، **المرأة ودورها في المجتمع المغولي**، مرجع سابق، ص 163 .
[2] نفسه، ص164.
[3] نفسه، ص165.

وعن الحلي التي كانت تزين بها المرأة المغولية فلم تنشر المصادر التي لدينا على الإطلاق إلى أنواع تلك الحلي بل صمتت عنها اللهم إلى تلك الإشارات العابرة التي ذكرها الجويني في موضوعين من كتابه عندما يشير في الموضوع الأول إلى أن الأربعين فتاة اللواتي تم اختيارهن وإرسالهن لخدمة جينكيزخان قد تزين بالجواهر وأثمن ما عندهن من الحلي، والمرة الثانية عندما يشير إلى زوجة أوكتاي قاآن المسماة موكاختون عندما تبرعت لأحد الأشخاص أثناء مصاحبتها لزوجها في رحلة الصيد بلؤلؤتين كالفردقين أشبه بالقمر المنير كانت تزين بهما أذنيها[1]

**ز. بعد الإسلام:**

إن المغول بعد خروجهم من موطنهم الأصلي وأنسياهم في العالم المعروف وقت ذلك وظهورهم كقوة عالمية سيطرت على مساحات كبيرة من الأراضي، واختلاطهم بشعوب وحضارات متقدمة أدت إلى تغيير لباسهم.[2] من حيث النوعية والكمية لا الشكل العام فأصبحت المرأة المغولية أكثر أناقة وبديعة اللباس، وغاية في التزيين والعناية الزائدة بمظهرها، وأخذت ترفل في لباس من الحرير الخالص يغطيها من الرأس إلى أخمص القدم له أذيال، يرفعها من الأرض عدد من الجواري اللواتي اعتنقن الإسلام من المغول القبشاق (القفجاق) وممن كن يعشن في التركستان وما وراء النهر حيث يشير ابن بطوطة إليهن بأنهن كن سافرات الوجه والرأس لا يحتجبن[3]

يصف الرحالة بن بطوطة أزياء طبقات نساء المغول فيقول عن نساء طبقة الخان في وصف ملابسهن فيقول بأن ثيابها مصنوعة من الحرير المرصع بالجواهر على نمط ما يرتديه الروم وإن لباس الوزيرة والحاجبة أيضا مصنوع من الحرير المطرز بالذهب، أما لباس الذي تصنعه هذه المرأة (الخاتون) على رأسها يسمى البخطاق ويشبه التاج الصغير المكلل بالجواهر وهو يناسب رأس المرأة وحجمها [4].

[1] نوار، المرجع السابق، ص166.
[2] الصياد، مرجع سابق، ص332.
[3] نوار، **المرأة ودورها في المجتمع المغولي**، مرجع سابق، ص 167.
4 نفسه، ص 167-168.

يقول عنه ابن بطوطة :" **وعلى رأس الخاتون البغطاق وهو مثل التاج الصغير مكلل بالجواهر وبأعلاها ريش الطاووس وعليها ثياب حرير مرصعة بالجواهر شبه المنوت (الملوطة) التي يلبسها الروم**".[1] ومن خلال وصف ابن بطوطة يتضح لنا أن الخاتون كانت تملك العديد من الألبسة والمتاع فنجده يقول "....**وخلف هذه العربات نحو ثلاثمائة عربة تجرها الجمال والبقر وتحمل خزائن الخاتون وأموالها وثيابها وأثاثها وطعامها ...**"[2]

أما الحاجبة والوزيرة فعلى رأس كل واحدة منهن مقنعة مزركشة الحواشي بالذهب والجوهر وعلى رأس كل واحدة من الجواري البنات قبعة مستطيلة ومخروطية الشكل يشبه الأقروف وفي أعلاها دائرة ذهبية مرصعة بالجوهر وريش الطاووس من فوقها.[3]

أما عن الملابس طبقة نساء الأمراء وهن نساء الطبقة الثانية كانت متميزة على هذا النحو، إذ كانت الواحدة منهن تخرج من بيتها لتزور صديقة أو لقضاء بعض شئونها أو للتنزه أو تنزل من عربتها بعد رحلة طويلة أو قصيرة وبين أيديها أربع جوار فاتنات الحسن بديعات اللباس وعندما تذهب إلى زوجها الأمير فتذهب وخلفها جملة من العربات فيها جوار يتبعنها ويكون معها ثلاثين جارية من جواريها يرفعن أذيالها من خلفها للحفاظ على نظافة ثيابها.[4]

يقول إبن بطوطة:"...**ولما قربت من منزل الأمير نزلت من العربة إلى الأرض ونزل معها نحو ثلاثين من الجواري يرفعن أذيالها و لأثوابها عرى تأخذ كل جارية بعروة ويرفعن الأذيال عن الأرض من كل جانب ومشت كذالك متبخترة ...**"[5]

1 ابن بطوطة، مصدر سابق، ص 340 .

2 نفسه، ص341 .

3 نوار، **المرأة ودورها في المجتمع المغولي**، مرجع سابق، ص168.

4 نفسه، ص168.

5 ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 336 .

فتمشي المرأة المغولية متبخترة مزهوة وفي جلال عظيم يقل أو يزيد حسب مكانتها ومكانة زوجها.[1]

أما عن ملابس طبقة نساء التجار والباعة وأصحاب الأسواق فقد شاهدن ابن بطوطة ويصفهن كما وصف غيرهن قائلاً بأن المرأة من نساء هذه الطبقة تكون في إحدى عرباتها الخاصة وبين يديها الثلاث والأربع من الجواري يرفعن أذيال ثيابها وقت نزولها أو تجوالها في الأسواق وفي حلها وترحالها وعلى رأس البغطاق وهو الأقروق (أي القبعة المستطيلة المخروطية الشكل) وقد رصع بالجواهر الثمينة وزين أعلاه بريش الطواويس ذي الألوان البديعة فتزداد المرأة جمالا وروعة.[2]

## 2. مكانة المرأة عند المغول:

### أ. منزلة النساء المغوليات:

قد تمتعت النساء في المجتمع المغولي بمنزلة رفيعة ومهمة ومكانة لا يستهان بها ويظهر هذا في قول ابن بطوطة :"...**ورأيت في هذه البلاد عجبا من تعظيم النساء عندهم وهن أعلى شأنا من الرجال**"[3]

كما ذكر في موضع أخر :"...**والنساء لدى الأتراك والتتر لهن خط عظيم وهم إذا ما كتبوا أمرا يقولون فيه عن أمر السلطان والخواتين** "[4]

وقد أكد على قول ابن بطوطة إبن أيبك الدوداري في كتابه كنز الدرر جامع القرر في الجزء المسمى الدر الفاخر في سيرة الملك ناصر إذ يقول:"...**وهؤلاء التتار فأمورهم راجعة إلى نساءهم بخلاف المسلمين**" [1]

---

[1] نوار، **المرأة ودورها في المجتمع المغولي**، مرجع سابق،ص168

[2] نفسه، ص 169، أنظر أيضاً، ابن بطوطة، مصدر سابق، ص336-337

[3] ابن بطوطة، مصدر سابق،ص336 .

[4] نفسه، ص 239.

وعليه فإن النساء المغوليات تمتعن بحرية كبيرة واستقلال واسع ونفوذ وسلطان عظيم ومشاركة بارزة في إصدار الأحكام والأوامر.[2]

إذ يذكر ابن فضل العمري مشاركة الخواتين في الحكم فيقول: "... **ولخواتين هؤلاء مشاركة في الحكم معهم وإصدار الأمور عنهم مثل أولئك وأكثر إلا ما كانت عليه بغداد بنت جويان امرأة سعيد بن بهادر بن خدا بندا فإننا ما رأينا في زماننا ولا سمعنا عمن قارب زمننا امرأة تحكم بحكمها وقد وقفت عن الكثير من الكتب الصادرة عن الملوك هذه البلاد في عهد بركة خان وما بعده وفيها (واتفقت أراء الخواتين والأمراء على كذا أو ما يجري هذا المجرى "**[3]

هذه النصوص وغيرها تبين مكانة المرأة وقوتها في العهد المغولي ويؤكد هذا الوضع المتميز للمرأة المغولية خاصة من الطبقة الأرستقراطية والحاكمة أن الأميرة الصينية التي إتخذها جنكيزخان زوجة له من أسرة كين، والتي عاشت بعده ثلاثين سنة قبيل استيلائه على بكين رغم أنها لم تكن جميلة الخلقة ولم تنجب له أطفالا، إلا أنها لقيت طوال حياتها المعاملة الطيبة التي تليق بها باعتبارها إبنة إمبراطور عظيم، وحتى سقوط ملك أبيها باعتبارها ممثلا للحضارة والثقافة الصينية المتقدمة داخل البلاط المغولي[4].

وعلى نفس السياق من تعظيم المكانة وحسن المعاملة يصف ابن بطوطة اجتماع محمد أوزبك خان بخواتينه يوم الجمعة فيبرر احترامه لهن فيقول :"... **ومن عاداته أن يجلس يوم الجمعة بعد الصلاة في قبة تسمى قبة الذهب مزينة بديعة وهي من قضبان الخشب مكسوة بصفائح الفضة المذهبة وقوائمه من فضة خالصة ورؤوسها مرصعة بالجواهر ويقعد السلطان على السرير وعلى**

---

[1] ابن ايبك الدوداري، **كنز الدرر وجامع الغرر، الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر**، ج9، ص 269.

[2] نوار، **المرأة ودورها في المجتمع المغولي**، مرجع سابق، ص11-ص12.

[3] ابن فضل الله العمري(ت749هـ)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تح: كامل سليمان الجبوري، دار الكتاب العلمية، بيروت، ج3،ص144،

أنظر أيضا، القلقشندي، مصدر سابق، ص475-476.

[4] نوار، **المرأة ودورها في المجتمع المغولي**، المرجع السابق، ص14 .

**يمينه الخاتون طيطغلي وتليها الخاتون كيك وعلى يساره الخاتون بيلون وتليها الخاتون أرودجا ويقف أسفل السرير على اليمين ولد السلطان تينا بك وعن الشمال ولده ثاني جان بك وتجلس بين يديه إبنته إيت كجك وإذ أتت إحداهن قام لها السلطان وأخذ بيدها حتى تصعد على السرير، وأما طيطغلي وهي الملكة وأحظا من عنده فإنه يستقبلها إلى باب القبة فيسلم عليها ويأخذ بيديها فإذا صعدت السرير وجلست حينئذ يجلس السلطان وهذا كله على أعين الناس دون احتجاب".**[1]

وهذا الوضع المتقدم الراقي يؤكد لنا قوانين الياسا المغولية التي أفردت لها مكانا ضمن بنودها والتي توضح مكانة المرأة ودورها المؤثر وتمتعت فيها المرأة المغولية باستقلال واحترام عظيمين إذ أن الياسا الجنكيزخانية قد إستبشعت جريمتي العدوان على النساء والسرقة واعتبرتهما من الكبائر وخصصت لهما عقوبات قاسية[2].

كما تمتعت المرأة بمكانة كبيرة لدى الخان المغولي قوبيلاي الذي امتلك أكثر من أربع زوجات اعتبرن كلهن شرعيات وكلهن حظين بالتعاون بلقب الإمبراطورة.[3] يقول ماركو بولو :"...**وله أربع زوجات يمتزن بالمكانة الأولى ويعتبرن شرعيات ويتولى العرش أكبر أبناء أية واحدة فيهن بعد وفات الخان الأعظم، وكلهن تحملن بالتعادل لقب الإمبراطورة ولكل واحدة منهن بلاطها الخاص وليس لدى كل واحدة منهن أقل من ثلاثمائة شابة أنثى ذات جمال باهر، بالإضافة إلى عدد من الغلمان الذين يتولون الخدمة وغيرهم من الفتيان فضلا عن وصيفات غرفة النوم بحيث يبلغ عدد أفراد الملحقين ببلاط كل واحدة منهن عشرة آلاف "**[4]

[1] ابن بطوطة، مصدر سابق، ص338-339 .

[2] نوار، **المرأة ودورها في المجتمع المغولي** ، مرجع سابق، ص14-15-16.

[3] كدرو، **المرأة ودورها الحضاري في العصر المغولي**، مرجع سابق، ص192.

[4] بولو، مصدر سابق، ج2، ص23.

وكذا في عهد الخان المغولي في إيران أبي سعيد حظيت النساء بقدر كبير من الاهتمام فكان للنساء في عهده نشاط ودور كبيرين، كما تمتعت المرأة عندهم بالحب والاحترام وكانت الخواتين ترافق السلطان أبي سعيد في حله وترحاله.[1]

يقول ابن بطوطة :"...**إذا نزلوا ينزل السلطان ومماليكه في محلة واحدة وتنزل كل خاتون من خواتينه في محله على حده، ولكل واحدة منهن الإمام والمؤذن والقراء والسواق وينزل الوزراء والكتاب و أهل الأشغال على حده، فإن كان الرحيل ضرب الطبل الكبير ثم يضرب طبل الخاتون الكبرى التي هي الملكة ثم أطبال سائر الخواتين ثم طبل الوزير ثم أطبال الوزراء دفعة واحدة ثم يركب أمير المقدمة في عسكره ثم يتبعه الخواتين ثم أثقال السلطان وزاملته وأثقال الخواتين ثم أميرتان في عسكر له يمنع الناس من دخول فيما بين الأثقال و الخواتين**"[2]

وعلى الرغم من أن قوانين الياسا الجنكيزخانية إستبشعت جريمة الإعتداء على المرأة المتزوجة واعتبرتها من الكبائر وعاقبت زنا الرجل أو زنا المرأة بالموت، إلا أننا نجد النقيض على الجانب الآخر فقد نظرة تقاليد المغول إلى المرأة باعتبارها متاعا للقادة والخان الأكبر خاصة في أوقات الحرب والقتال ولدينا نص يؤكد ذالك، ذكره صاحب كتاب تاريخ فاتح العالم عندما فرض على العذارى من فتيات المغول مرافقة الجيوش المغوليين في المعارك لتسريبهن مما يمثل في رأينا هدرا لكرامة المرأة المغولية.[3]

يقول الجويني:"...**والأمر الأخر من قوانين الياسا أنهم يجمعون كل فتاة حسناء تكون في الجيش ويوصلونها من العشرة على المائة وعلى كل شخص أن يجري اختبارا آخر حتى أمير التومان الذي يجري اختبارا بدوره بينهن ويرسل الفتيات المختارات إلى الخان أو الأمراء، حيث يجرون عليهن اختبار آخر فاللواتي يرونهن مناسبات وتقربهن أعينهن يطبقون عليهن الآية**

[1] كدرو، **المرأة ودورها الحضاري في العصر المغولي**، مرجع سابق، ص194.

[2] ابن بطوطة، مصدر سابق، ص241.

[3] نوار، **المرأة ودورها في المجتمع المغولي**، مرجع سابق، ص17.

**الكريمة (إمساك بمعروف) وعلى الباقيات (تسريح بإحسان)[1]هذا النص يوضح أن المرأة المغولية من طبقة النبلاء والأحرار كن يتمتعن بامتيازات ومكانة لم تتمتع بها المرأة من الطبقة العامة أو طبقة الأرقاء" .**[2]

فكان دور النساء في المجتمع التركي المغولي غامضا فمن ناحية كن يشكلن قوة مهمة ومؤثرة داخل العائلة والمجتمع، ومن ناحية أخرى كن يعاملن لأغراض تجري مقايضتها فالرجال كانوا يكسبون الزوجات مثلما يكسبون الخيول والممتلكات الأخرى وكلما ازداد غنى الرجل كثر عدد زوجاته وأما الرجل العادي فكان يكتفي بزوجة واحدة.[3]

**ب.وظائف المرأة المغولية :**

- **الوظائف التقليدية :**

ساهمت النساء في جميع الأعمال اليومية ولكن بعض المهام اقتصر القيام بها عليهن فكانت مهامهن قيادة العربات الضخمة التي تحمل العوائل عليها وأمتعتها وخيامها ويزعم وليام الروبركي أن إمرأة واحة كان بمقدورها قيادة ثلاثون عربة متصلة ببعضها البعض ويتطلب نقل بيت نبيل نحو 200 عربة تقوم زوجاته المتعددات بقيادتها تركب المرأة التي تقود العربة على ظهر الثور أو الجمل الأمامي والبقية يتبعنها، وإذا كانت الطريق وعرة فمن الضروري فصل الحيوانات التي تقود العربات لتقاد كل عربة على حدا وتقوم النساء بتحميل العربات وتفريغها بأنفسهن وإذا علقت الأحمال في مكان ضيق فإن من مهام النساء فكها وإعادة تركيبها بعد توزيعها بالتساوي على الحيوانات التي تجرها وعندما يقرروا التخيم تقوم النساء بفك الأحمال ونصب الخيام والمساكن وتوجه أبواب الخيام نحوا الجنوب ويوضع فراش سيد البيت في أقصى شمال الخيمة أو المسكن وفراش الزوجات عن جانبه الأيسر وتضع الزوجة تمثالها المصنوع من اللباد على الحائط فوق رأسها وبجانب المدخل من جهة النساء تضع تمثال

[1]الجويني، مصدر سابق، ج1، ص73.

[2]نوار، **المرأة ودورها في المجتمع المغولي**، مرجع سابق، ص18.

[3]لاين، مرجع سابق، ص307.

آخر يرش هذا التمثال بحليب الأبقار ويعتبر بمثابة تعويذة لحماية المرأة التي عليها أن تحلب الأبقار.[1] وكانت من وظائف المرأة المغولية أيضا صنع الثياب الجلدية وما يصنع من الجلد كالأحذية والأحزمة كان أيضا خاصة بها، وكان من النساء أيضا من يقمن بحلب وضرب الأبقار وكانت هذه من وظائف النساء الرئيسة.[2]

لهذا نجد المغول اعتمدوا اعتمادا كليا على النساء في إدارة شؤون المنزل إذ كان الجندي المغولي على استعداد لحمل السلاح والانطواء تحت الراية المغولية إذا هدد بلاده خطر خارجي تاركا شؤونه الخاصة وشؤون أسرته إلى الحنكة النسائية ومهارتهن.[3]

كما نصت إحدى قوانين الياسا أنه في حالة غياب الجندي في ميادين القتال فإن نسائهم ملزمات بالقيام بنفس الأعمال التي كان يقوم بها الرجال وقت السلم من السفر والكلف طول مدة غيبتهم في القتال.[4]

- **الوظائف الغير التقليدية :**

ومن غير الأعمال التقليدية للمرأة المغولية نجد مشاركتها الرئيسية في المجال العسكري بحيث لم يعد دورها مقتصرا على تربية الأولاد وإدارة شؤون البيت بل شاركت في أوجه نشاط مختلفة ذات طبيعة عسكرية ومن هذه الجوانب أن المرأة كانت تتولى أمر الدفاع عن بيتها أثناء غياب الرجل سواء غيابه في رحلات الصيد الشتوية أو في غزواته، ولتحقيق هذه المهمة كان لابد للمرأة من التدريب على أساليب قتالية إلا أن هذا الدور لم يقتصر على مجرد حماية البيت ومشتملاته أثناء غياب الرجل كما سبق أن ذكرنا بل تعداه إلى المشاركة في الحروب الخارجية .[5]

يقول شبولر:"**قد تميزت المرأة بانخراطها كرديف للجيوش أثناء الحملات العسكرية فلم تكن المرأة تهتم بإدارة شؤون المنزل وتربية الأطفال فحسب بل كانت ترافق الجيش في**

---

[1] لاين، مرجع سابق، ص309.

[2] نوار، **المرأة ودورها في المجتمع المغولي**، مرجع سابق، ص145.

[3] حمدي، مرجع سابق، ص244.

[4] نوار، **المرأة ودورها في المجتمع المغولي**، مرجع سابق، ص149 .

[5] العمادي، مرجع سابق، ص290-291.

**حملاته وتهتم بشؤون الرجال المحاربين وحاجاتهم وفي أثناء المعارك كانت النساء تحفظ في عربات خاصة في المعسكرات ولكن في حالت الطوارئ ووقت الخطر الشديد كن يشتركن بالقتال "**[1]

ومن النساء البارزات في المجال العسكري إبنة جنكيزخان التي قتل زوجها على يد المسلمين مما دفع ذلك إلى الانتقام الذي لم يقل عن رغبة الرجال في الانتقام وفي هذا الصدد لدينا القصة المعروفة عن لخراب مدينة نيسابور إنتقاما لقتل إبنة جنكيز المسمى تافاجار حيث دخلت إبنة جنكيزخان المدينة مع فرسانها وأفشت القتل الجماعي بها وأمرت بأن تخرب المدينة كاملة .[2]

يقول الجويني :"**وساقوا من تبقى من الناس رجالا ونساء إلى الصحراء وأمروا إنتقام التافجار بأن يخربوا المدينة فتركوها أرضا صالحة للزراعة ولم يتركو بها ديارا أو نفسا ينبض بالحياة حتى الكلاب والقطط كل هذا قصاصا لمقتله ودخلت إبنةجنكيزخان –وكانت زوجة لتافجار– إلى المدينة مع فرسانها فقضوا على كل شخص قد بقي حيا بها سوى أربعمائة فرد من الممهنيين فقد أخرجوهم حملوهم إلى تركستان ويوجد الآن من نسلهم بعض الأبناء وفصلوا رؤوس القتلى عن أجسامهم ،ثم جلسوا وفصلوا النساء عن الرجال عن الأولاد**".[3]

**فيظنه من يراها بعض خدامها** ".[4] ومن الوظائف الغير التقليدية كذلك نجد التجارة إذ يذكر ابن بطوطة أثناء رحلته لمغول القبجاق طبقة من طبقات النساء وهن نساء التجار الذين كانوا يمتهنون التجارة فيقول:"...وتأتي إحداهن على هذا الترتيب ومعها عبيدها بالغنم واللبن فتبيعه إلى الناس بالسلع العصرية وربما كان مع المرأة منهن زوجها

[1] برتولدشبولر، **العالم الاسلامي في العصر المغولي**، تر: خالد اسعد عيسى، ط1، دار حسان للطباعة ونشر، دمشق، ، 1982م، ص28.

[2] كدرو، **المرأة ودورها الحضاري في العصر المغولي**، مرجع سابق، ص 195.

[3] الجويني، مصدر سابق ، مج1، ص 193.

[4] ابن بطوطة، مصدر سابق، ص337.

## 3. الدور الاجتماعي للمرأة المغولية :

### أ. دورها في المجال الديني:

احتوت الياسا الجنكيزخانية على مواد نظمت الحياة العائلية الاجتماعية في المجتمع المغولي بحيث أصبحت في حال هذه المواد القانونية تتمتع بحرية كبيرة ،واستقلال واسع واحترام عظيم في المجتمع المغولي.[1]

قامت المرأة المغولية بعدة نشاطات كان الهدف منها إبراز دورها كعضو فعال ونشط في المجتمع المغولي الذي يعيش تحت ظله أو لتمكين أبنائها وتثبيتهم في سلطانهم[2]، ومن أهم النساء البارزات اللواتي كان لهن دور كبير في المجتمع المغولي هي سيورقوقتيتي بيك[3]، والتي خلفت مجموعة من الأولاد الذين يعتبرون من أهم خانات المغول وهم منكو، قوبيلاي، هولاكو، اريغ بوكا[4].

كانت سيورقوقتيتي بيكى في غاية العقل والكفاءة وكانت في مقدمة السيدات العالم ، ولها في الثبات والعقل والعصمة كل ما هو أكمل وأتم ،ولما كان بعض أولادها صغارا عند وفاة أبيهم بذلت كفاءتها جهودا كبيرة في سبيل تربيتهم ولقنتهم الفضائل والآداب، ولم تدع أن يقع بينهم نزاع على الإطلاق حتى ولو قيد شعرة ، وألفت بين قلوب زوجاتهم مع بعضهم البعض ، وقامت برعايتهم رعاية الأبناء والأحفاد ،وجميع الأمراء العظام والجنود الذين كانوا قد آلو إليهم من جنكيزخان وتولوي خان.[5]

فكانت يداها على الدوام طليقة بالبذل والإحسان وعلى الرغم من أنها كانت من أتباع المسيحية ومن العاملين على دعمها فإنها كانت تنفق الكثير من الصدقات والعطايا لأئمة الإسلام ومشايخ

---

[1] نوار، **المرأة المغولية ودورها في المجتمع المغولي**، ص146

[2] كدرو، المرجع السابق، ص113.

[3] **سيور قويتي بيكي**: ولدت في قبيلة كرايت وكانت البنت الصغرى لـ جاكمبو الذي كان اخا لزعيم قبيلة كرايت طغرل اونغ خان وبعد انتصار جنكيز خان على هذه القبيلة قام بتزويج ابنه تولوي من سيور قويتي بيكي، لاين، مرجع سابق، ص320.

[4] نرجس أسعد كدور، **سرقويتي بيكي ودورها في البلاط المغولي**، مج 4، دار العلم للغة العربية ،مصر،ص3.

[5] الهمذاني، (تاريخ خلفاء جنكيزخان) مصدر سابق، ص180.

المسلمين ،كما كانت تبذل ما في الوسع في أحياد الشعائر التي سنتها شريعة الدين محمد صلى الله عليه وسلم على صدق هذا الكلام أنها أمرت بإنفاق ألف بالش[1] من الفضة لإنشاء مدرسة في بخارى وبأن يكون شيخ الإسلام سيف الدين الباخرزي[2] هو المسئول على هذا الأمر والقائم عليه كما أمرت بشراء العديد من القرى وأوقفتها على المدرسة ،وعينت مدرسين وطلبة العلم وكانت تبعث على الدوام بالصدقات إلى مختلف النواحي والأطراف وتخص بها مساكين المسلمين ونظرائهم وظلت على هذا النحو حتى توفيت في ذي الحجة سنة تسع وأربعين وستمائة الموافق لسنة إحدى وخمسين ومائتين وألف ميلادية[3]

ويبدو أن التوجه الديني الذي سارت عليه سيورقتي بيكى و إهتمامها بالإسلام على الرغم من كونها مسيحية يأتي بسب روح التسامح الديني الذي عرف به المغول مع بقية الأديان الأخرى[4] وقد تأثر منكوقان[5]، كثيرا بحب والدته الشديد للعقيدة الإسلامية والمسلمين ولهذا أظهرهو أيضا تسامحا واحتراما كبيرين للإسلام وعلى الرغم من أنه كان شامانيا وأنه عامل النصارى معاملة خاصة لم يظفر بمثلها غيرهم من أتباع الديانات الأخرى بل وأسند تعليم ولده الأكبر باتو إلى رجل نصراني،

إلا أنه كان يرى أن جميع الأديان جديرة بالإحترام والتقدير وبالتأثير من والدته سرقوتيتي بيكى وإرضاء لها باضطهاد واحد من الناس بسبب العقيدة، ولم يكن لديه أي رغبة قوية في إجبار إتباع الديانات على الالتزام بقوانين الياسا[6] كما أنه أعطى الحرية الدينية للمسلمين وقد سعى لإحياء

---

[1] **بالش**: "البالش من الفضة يعادل ثمانية دراهم ومثقالين ويساوي مائتي دينار فرنك معينا"، الجويني، مصدر سابق، جزء3، ص30

[2] سيف الدين الباخرزي:"**سعيد ابن المطهر الامام القدوة المحدث سيف الدين ابو المعالي البخارزي**، شيخ زاهد عارف كبير القدر إمام في السنة والتصوف عني بالحديث توفي سنة تسعة وخمسين وستمائة" ،كدور، المرأة ودورها الحضاري في العصر المغولي، مرجع سابق، ص176.

[3] علاء الدين عطاء الملك الجويني، **تاريخ فاتح العالم جهاز كشايفي تاريخ منكوفاآن وهولاكو والاسماعلية**، دط، مج3،القاهرة 2015،ص30.

[4] اسراء مهدي مزبان، **خواتين القصور المغولية ودورهن في تدبير المؤامرات السياسية**، جامعة واسط، كلية التربية، العدد التاسع السنة الرابعة، 2012م ،لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، ص17.

[5] **منكوقاآن**:" هو الابن الأكبر لتولوي خان ولد من زوجته الكبرى"سيورقوقيتي بكي "ابنة جاكيمو أخ اونك خان من قبيلة الكرايت" الهمذاني، (تاريخ خلفاء جنكينز خان) مصدر سابق،ص195.

[6] نوار، **المرأة ودورها في المجتمع المغولي**، مرجع سابق، ص142.

الشعائر الإسلامية متأثر بوالدته التي سلكت سلوكا حسنا مع الرعايا المسلمين فخاصة الأئمة والمشايخ رغم كونها مسيحية كما كان منكو يسمح بإقامة المناظرات الدينية وبلغت حرية المسلمين درجة إلى حد أنهم كانوا يتناظرون و يتحاججون على أديانهم أحدهم مع الأخر في حضوره.[1]

ويذكر رشيد الدين الهمذاني :"**أن مونكو قد خص للمسلمين بما يزيد عن الإكرام والاحترام وميزهم عن جميع الطوائف والمذاهب وأمر لهم بالصلاة والصدقات ومصداق هذا الأمر أنه في عيد الفطر سنة(650هـ/1252م)حضر إلى المعسكر القاضي جلال الدين محمود الخجندي وطائفة من المسلمين، فخطب في الناس وأمهم ووشح الخطبة بذكر الخليفة ودعا لمنكو قآن وأثنى عليه فأمر بمنحهم العيدية على سبيل التشريف،وإعطائهم عربات محملة بأكياس النقد من الذهب والفضة والملابس القيمة وكان لأكثر الناس نصيب من هذه الصلات**"[2]،وبتأثير من والدته وبمشورتها أصدر القاآن منكو[3]،أمرا نافذا بإطلاق صراح جميع المعتقلين والمسجونين في سائر الملك وقد وفد الرسل على أطراف البلاد لإنجاز هذه المصالح[4]،وأيضا برزت زوجة منكو السيدة كوتا وهي الأولى من زوجات القاآن والتي أولت عناية كبيرة بالمسيحين الموجودين في بلاطه،كما وزعت عليهم الهبات وأعطت الرهبان الهدايا كما حظر القاآن بنفسه إلى البيعة ونظر الخان إلى كتابهم المقدس [5].

كذالك هناك الكثير من النساء الغير مسلمات لعبن دورا كبيرا في البلاط المغولي بل حتى لعبنا دورا هاما في تحويل الخان من دين إلى أخر وذلك نتيجة تأثيرهن الكبير على معظم خانات المغول، وإن لم ينجحن في ذالك فقد ساهمن على تعاطف الخان المغولي مع الدين الذي تعتنقه إحدى زوجاته[6]،فهولاكو (654هـ-664هـ) كان يدين بديانة البوذية[1]،سيما وأن زوجة الخان قد اعتنقت

[1] كدرو، **سرقويتي بيكي ودورها في البلاط المغولي**، مرجع سابق، ص6.

[2] الهمذاني، مصدر سابق (**خلفاء جنكيز خان**)، ص217.

[3] نوار، **المرأة ودورها في المجتمع المغولي**، مرجع سابق، ص143.

[4] الهمذاني، المصدر السابق ،ص218.

[5] كدرو، **المرأة ودورها الحضاري في عصر المغول**، مرجع سابق، ص204.

[6] نفسه، ص101

الديانة المسيحية وهي دوقوس خاتون[2]، هذا وكان الخان غالبا ما يشترك في الأعياد المسيحية بنفسه ويحضر القداس وقد أجاز بناء كنيسة صغيرة في البلاط الملكي وأقف الأوقاف لمصلحة الكنائس كما فضل المسيحين على المسلمين في المعاملة[3]،وقد استغلت هذه الديانة في أن تشمل رعاياها أتباع الديانة المسيحية في المناطق التي خضعت لهولاكو كما حصل عندما سيطر على الخلافة العباسية ببغداد أما أحمد تكودار[4]، (681هـ-683هـ/1282م-1284م) قد اعتنق الديانة المسيحية في صغره وأخذ اسم نيقولا وتعمد تعميده بناءا على رغبة والدته التي كانت تدين بالديانة المسيحية، وعلى الرغم من أن والده كان يدين بالديانة البوذية وكذلك الحال نجد أن المرأة المغولية التي اعتنقت الإسلام قد أثرت تأثير النساء المغوليات ذوات الديانة المسيحية[5].

ويحدثنا السيد توماس أرنولد أن وليم روبرك مبعوث البابا إلى خان المغول في منتصف القرن السابع هجري منتصف القرن الثالث عشر ميلادي،شاهد بنفسه تأثير إحدى النساء المسلمات على زوجها وكيف وقف هذا التأثير عقبة أمام تحويله إلى نصرانية إذ بعد أن تم شرح العقيدة المسيحية لهذا الزواج وأعدت العدة لتعميده امتطى صهوة جواده على حين غرة، قائلا بأنه لابد من أن يذهب إلى داره لاستشارة زوجته التي أقنعته بعدم التحويل إلى المسيحية[6].

---

[1] العمادي ، مرجع سابق، ص13.

[2] **دقوس خاتون:** "هي دقوس خاتون ابنت ايقو الابن الثاني لاونك خان ملك قبيلة كرابيت المسيحية" سلام الدين احمد، مزعل الجابري دقوزخاتون دراسة في سيرتها ،كلية الآداب جامعة ذي قار مجلة الخليج العربي، مج (4/3) سنة 2016، ص4.

[3] شبولر، مرجع سابق، ص 57-58.

[4] **احمد تكوادر** :"هو الابن السابع لهولاكو ولد من قوتن خاتون كان له زوجات ومحيطات كثيرات"، الهمذاني،مج2، ج2،ص88

[5] العمادي، **جوانب من حياة المرأة في العصر المغولي**، مرجع سابق، ص13.

[6] رجب، مرجع سابق ،ص69.

**ب.دورها في المجال الفني :**

اهتمت النساء المغوليات بالموسيقى، كما كان للخانات المغول دور كبير في تنشيط هذا المجال عند النساء وأيضا كانت ضمن الرسائل التي ترسل للسلاطين المماليك بعض الجواري اللواتي كن ماهرات في الغناء والموسيقى ففي سنة 732هـ/1331م حضر رسول أبي سعيد إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون (741هـ/1340م) وصحبته هدايا من ضمنها اثنين من الجواري المغنيات، كما كانت الجواري ترسل ضمن الهديا التي يرسلها سلطان المغول القفجاق محمد أزبك خان إلى سلطان المماليك الناصر وكانت النساء قد حملن معهم فن الغناء والموسيقى إلى مصر وخاصة الجواري كن يمثلن رسل الفن في الأماكن الذين يفدن إليها وقد استأثرت البنات المغوليات بالخطوة لدى المماليك وذلك لبراعة الكثيرات منهن في العزف على الآلات المختلفة .[1]

ولاشك أن هذه الجاريات قد حملن الكثير من العادات والتقاليد المغولية القفجاقية التي وضعتها داخل أسوار وغرف القصور السلطانية وكذلك بيوت الأمراء.[2]

[1] كدرو، **المرأة ودورها الحضاري في عصر المغول**، مرجع سابق،ص212.

[2] نوار، مرجع سابق ،ص119

## رابعا: الدور السياسي للمرأة المغولية (الخواتين أنموذجا):

برز دور الخواتين المغوليات وتأثيرهم على سدة الحكم وإستعراض المهام التي كانت تقع على عاتقها والمسؤوليات التي قامت بها في الجانب السياسي.

### 1. دورهم في تربية الخانات وتوليتهم:

### أ. هاو ايلوان:

دخلت هاو ايلوان عشيرة ال"بورتجيجن" وأصبحت زوجة ياسوجي حسب الطريقة المغولية التقليدية فخلال رحلة صيد بالصقور مع أخويها عاد ياسوجي محملا بغنيمة مختلفة من غنائم الآخرين،كانت تلك هي هاوايلوان من عشيرة "أونيقرات" التي هي جزء من قبيلة المركيت العريقة إتخذها ياسوجي زوجته ولدت له أربعة أولاد رغم أنها متزوجة سابقا من أحد رجال قبيلة المركييت والذي كانت تحبه.[1]

بعد وفاة يسوكاي كان لزاما على هاو ايلوان أن تبذل كل ما تستطيع من جهد لتحصل على الزاد الضروري لأفراد أسرتها،فصارت تلتقط لهم الثمار وما ينبت في الأرض من خضروات ولم يتطرق اليأس إلى قلوب أفراد هذه الأسرة وأكبرهم لازال صغير السن ومع ذلك فان هذه الجماعة احتفظت بما اشتهرت به في قبيلتهم من الحماس والنشاط والصبر على تحمل المتاعب.[2]

فاجتهد الصبيان في صيد ما يلزمهم لإعاشتهم من نهر أنون وحرصت الأم يولوي على أن تتوطد المودة بين أفراد الأسرة، فلما وقع الخصام بين أبناء يوسكاي الأشقاء والغير أشقاء وأسفر هذا الشقاق على مصرع بكتار إبن يسوكاي من زوجة أخرى انفجرت يولوي في وجه ولديها تيموجين وقسار اللذان تسببا في هذا الحادث وقالت لهما أيها القتلة فحينما ولدتك يا تيموجين كنت تقبض على قطعته دم متجمدة ،لستم إلا نمرة تنقض على فريستها ولستم إلا كالأسد الغاضبة ولستم، إلا كالبزاة تحلق في الجوزاء فوق ضلالها و كالإبل تقضم في أثناء غضبها أبنائها،وكالذباب التي تنقض

[1] لاين، مرجع سابق، ص 313 .أنظر أيضا الغزاوي، مرجع سابق، ص83/82.

[2] العريني، مرجع سابق، ص 44.

على فريستها في غمرة العاصفة فليس لدينا فيما عدا ضلالنا رفاق وما تعرضنا له من الشرور على أيدي التايجوت بلغ من العنف ما لانستطيع تحمله من الانتقام منهم[1].

إن عناد "هاو ايلون" وتماسكها وحسن إدارتها هي ما أشد أواصر العائلة ومنحها القدرة على الاستمرار والبقاء وكان لتأثيرها دور كبير في نشأة تيموجين وما صار عليه فيما بعد حين شب وقوي عوده[2]،إذ تكمن تيموجين بشجاعته من المحافظة على راعي أسرته فتحسنت حالته المادية ووقعت بجانبه أمه بنفسها في نفر ضئيل من الذين فضلوا البقاء بجوار أبنائها[3].

**ب.سيورقوقتيتي بيكي:**

بعد وفاة تولوي خان ظل أبناءه مع والدتهم ملازمين لأوكتاي، وكان يعزهم ويكرمهم للغاية ويستجيب لملتمساتهم على الفور، وذات يوم طلبت أحد التجار من حضرة القاآن فأظهر تلكؤا وعدم الاهتمام بهذا الموضوع فبكت سيورقوقتيتي بيكي وقالت :" **ذلك الشخص الذي كان مرادي وأمنيتي ترى لمن ضحى بنفسه ومن أجل من أزهق روحه ؟...**" فوصل هذا الكلام إلى سمع القاآن فقال : " **إن الحق إلى جانب سيورقوقتيتيبيكي "واعتذر لها وأجابها إلى ملمسها.**[4]

أمر القاآن أن يعهد إلى زوجة تولوي (الخاتون الكبرى) سيورقوقتيتي بيكي بتدبير شؤون الدولة وهي التي تقرر أن يكون الأبناء والجيش والشعب والكبير والصغير رهن حلها وعقدها تحت أمرها ونهيها، فلا يعصي لها أحد أمراء فوضعت بيكي أساسا لتنشئة الأبناء وتربيتهم وضبط الدولة وتحقيق المكانة والهيبة وتدبير المهام بحسن الرأي والدراية ومهدت قاعدة لإرساء هذه المبادئ بشكل لم يكن بوسع أحد أن يسير الأمور على هذا النحو المتقن الرائع .[5]

ونظر لعظمة المسؤولية التي تحملتها هذه المرأة ولتضحيات العظيمة التي قدمتها لزوجها وأبنائها فلم تفكر في الزواج من أي رجل بعد وفاته،[6] فقد طلب أكتاي منها أن تتزوج من ابنه كيوك

1 الصاوي، مرجع سابق، ص 74-75.

2لاين، مرجع سابق ، ص 313 .

[3]عبد العزيز فهمي ،مرجع سابق،ص 31.

[4] الهمذاني، (**تاريخ خلفاء جنكيزخان**)، مصدر سابق ، ص 170.

[5] الجويني، مصدر سابق، مج2، ص27.

6 سعاد هادي حسن الطائي ،**الدور السياسي والإداري لزوجات خانات المغول خلال العصر العباسي (626-650هـ /1228-1252م) سيورقوقتشي بيكي وأوغول غايمش أنموذجا** ،كلية التربية ،ابن راشد جامعة، بغداد ،مجلة مداد الآداب، العدد الرابع ،ص 9.

خان،وأرسل إليها برسالة لهذا الغرض ولما ابلغها الرسول قرار القاآن أجابت: "كيف يمكن مخالفة ما يقضي به مرسوم القاآن بيد أنني أفكر في أن أتفرغ لتربية أولادي حتى أوصلهم إلى حد الرجولة والاستقلال وأسعى في تهذيبهم،حتى لا يفارق بعضهم بعض، ولا ينفر احدهم من الأخر،فلربما يترتب على اتفاقهم عمل كبير"[1]، وبالفعل حققت هذه المرأة أمنيتها فانه بفضل سياستها وصبرها وتضحيتها تربي أبنائها أحسن تربية وتقلدوا جميعا مناصب الحكم والسيادة في دولة المغول[2]

وكان القاآن لا يبرم أمرا من أمور البلاد أو ينظر في شأن من الشؤون الجيش دون أن يستشيرها،ولم يسمح بإجراء تغيير أو تبديل ما تقوله أو تشير به، وكانت الرسل والوفود تقدم لها مزيد من الاحترام والتوقير[3]

وعلى أية حال فان المكانة التي حازت عليها سيورقوقتي بيكي في عهد أكتاي خان استمرت في عهد كيوك خان على الرغم من رفضها الزواج منه على عهد أبيه أوكتاي خان، ولهذا أثرت سيورقوقتي بيكي إن تتعامل بعد هذا الرفض بحذر شديد مع كيوك المعروف عنه بالبطش والتهور تجاه من يشك في ولاءهم له، وحضرت مراسيم تنصيبه للخانية مع أبنائها قبل الجميع مزدانين بأنواع الزينات كدلالة على فرحها بالمناسبة[4]ومن جانبها عملت سيورقوقتيي بيكي خاتون على كسب ود الخان كيوك وبقية الأمراء من خلال استخدام سياسة واضحة بعيدة عن الغموض أو إثارة الشكوك بعائلتها لاسيما فيما يتعلق بالشؤون المالية، لذلك حرصت على أن تكون جميع تصرفاتها صحيحة وسليمة[5] وكان من مميزاتها ضبط أبنائها والأخذ بقيادتهم مع أن كل واحد منهم خان (ملك عظيم ) وشخصية معتمدة بنفسها واثقة بسلامة رأيها وهو يفضلون سائر الأمراء بالدهاء والذكاء وحين توفي

---

[1] الهمذاني، **تاريخ خلفاء جنكيزخان**، مصدر سابق، ص 171.

[2] الصياد، مرجع سابق . ص 207 .

[3] الجويني ،مج2 ،مصدر سابق، ص 28.

[4] رغد عبد الكريم أحمد نجار، **إمبراطورية المغول (دراسة تحليلية عن التاريخ المبكر للمغول وتكوين الإمبراطورية والصراعات السياسية على السلطة (603/766هـ 1206/1365م)** ،ط 1، 2012م، ص 107.

[5] مزبان، مرجع سابق، ص 15.

الإمبراطور بقوا مدة ينتظرون إجلاس خان جديد ظلت طيلة الوقت لا تسمح لأولادها على الرغم مما كانوا يتمتعون به من صلاحية بإجراء أي تغيير في القوانين القديمة (الياسا) وعندما دفع كيوك خان لتولي منصب الخانية (منصب الإمبراطور)، وأخذوا في البحث والتفتيش عن من انحرف من الأمراء عن السياسة والقاعدة المستمرة .[1]

وكان القاآن يثني أمام الجميع على سيورقوقتيني بيكي وأولادها أنهم من بين سائر أمراء البيت المالك قد تمسكوا بالياسا وامتنعوا على كل تصرف طائش خلال خلو فترة الحكم[2] وقد لعبت هذه المرأة دورا كبيرا في تنصيب ابنها منكو وذلك عندما عملت هي و"باتو" على إيصال منكو للعرش وذلك عندما تعلل" باتو" ملك خوانين القفجاق ولم يحضر الى القوريلتاي لانتخاب كيوك فان سيورقوتيتي بيكي أوفدت أبنائها إلى باتو وقالت أن باتو الأخ الأكبر وطاعته واجبة عليهم جميعا ولا يجوز مخالفته، وبهذا مهدت سيورقوتي بيكي الطريق لأبنائها من أجل تعيين ابنها منكو خلفا لكيوك، وذلك بالإتفاق مع باتو بينما لم تسفر خطة أغول غايمش عن كل شيء وذلك لان أبناء أكتاي وبتحريض من أغول غايمش أرملة كيوك لم يحظروا القوريلتاي تعبيرا على عدم موافقتهم على هذا الاختيار، ولذا أمر باتو كلا من ابنه سرتاق وأخيه بركة بالذهاب إلى قراقورم على رأس قوة عسكرية وتنصيب منكو ابن تولوي وقطع رأس المعارضين إذا استدعى الأمر ذلك،وقد طلبت باتو بتتويج منكو رسميا إلا أن ذلك لاقى رفضا من بعض الأمراء بدعوى أن المنصب لابد أن يظل محصورا في ذرية أكتاي و سيورقوقتيي بيكي وقد استمرت المفاوضات بين باتو ومنكو وسيورقوقتيي بيكي من ناحية والمعارضين من ناحية أخرى لمدة عامين وفي النهاية تمت مبايعة منكو من قبل أنصاره رسميا لمنصب الخان وبتأييد من باتو في ذي الحجة (648هـ/1249م)[3].

[1] الجويني، مصدر سابق، مج 3 ، ص 29.

[2] فلاديميروفيتش، مرجع سابق ، ص676.

[3] كدرو، **سيورقوقيتي بيكي ودورها في البلاط المغولي**، مرجع سابق، ص 4-5.

## 2. دورها في تولي الحكم وقيادة الإمبراطورية :

وإذا كانت الياسا قد فضت النزاع والخصام بين المغول فإنها حددت الحقوق والواجبات و ماهو مقرر للحاكم والمحكوم والأب والزوج والزوجة وبخصوص الزوجة فقد أقر جنكيزخان بأهمية مشاركة المرأة وزوجها في شؤونه ومنها السياسية،وأن لا يقتصر دورها عند حدود الإنجاب وتربية أبنائها وأشار في الياسا بأنه يغصب إذا علم " بافتقار اعتماد الزوج على زوجته"، وأن تكون هي صاحبة الشأن في إدارة شؤون أسرتها أو قبيلتها في أعقاب وفاة زوجها،وبهدف تنظيم حق مشاركة المرأة في الحكم أعطى جنكيزخان الحق للخان اختيار خليفة له في الحكم (ولي عهد) على أن هذا لا يمارس سلطة الخان إلا بعد اجتماع عام تحضره الأسرة الحاكمة بما فيهم الخواتين وأمراء الأقاليم وهذا الاجتماع أو المؤتمر الذي يسمى "قوريلتاي" يعقد لتقرير الموافقة على هذا الاختيار أو إيجاد البديل عنه، وخلال المدة الانتقالية لتقرير الموافقة على هذا لاختيار أوإيجاد البديل عنه وخلال المدة الانتقالية التي تستغرق في العادة بضع سنوات جرى العرف أن تتولى شؤون إدارة الإمبراطورية المغولية الزوجة الأخيرة للخان المنوفي باعتبار أن لها معرفة بالمشاكل الخاصة بالإمبراطورية.[1]

ومنذ قيام الدولة المغولية بزعامة جنكيزخان فانه سعى إلى تطبيق تلك التعاليم ومنها المتعلق بالنساء وذلك برز الدور الريادي للمرأة المغولية بشكل واضح وجلي وتحديدا بالجانب السياسي من خلال مشاركتها المباشرة في إدارة الدولة[2]

وعليه سنقدم الأمثلة التالية لنساء مغوليات حكموا الدولة المغولية أو بعض الأقاليم فيها لأزمنة مختلفة

### أ. توراكيناخاتون :

توراكينا الزوجة الثانية لأوكتاي قاآن من قبيلة أوهات مركيت، وقد ورد بعض الأقوال أنها كانت زوجة"طاير أوسون" زعيم قبيلة "أوهاتمركيت" فلما قتل زوجها جيء بها أسيرة فتزوج منها أكتاي قاآن وكان طاير أوسون قبل قد زوج ابنته "قولان خاتون " من جنكيزخان، وفي قول آخر أن توراكينا

[1] قداوي، مرجع سابق، ص142-143.

[2] الجابري، مرجع سابق، ص 134.

كانت من هذه القبيلة لكنها لم تكن زوجة "طاير أسون" ولم يكن لتلك الخاتون جمال بارع ولكنها كانت ذات سلطان كبير وقد حكمت مدة.[1]

كانت وفاة أوكتاي خان بن جنكيزخان في سنة إحدى وثلاثين وستمائة[2]، تولى الوصاية على العرش أرملته توراكينا خاتون التي اشتهرت بالنشاط و المهارة[3]، بقول الجويني: "حين نفذ حكم الله تعالى ورحل ملك العالم وخاتم الزمان القاآن عن الدنيا ولم يعد إبنه الأكبر "كيوك" من حرية مع جيش القفجاق فقد اجتمعت الخاصة والعامة على باب مقر زوجته "موكا خاتون" وهي التي ورثها عن أبيه جنكيزخان طبقا لعاداتهم واستعانوا بها على تنفيذ الأحكام ولما كانت زوجته الكبرى وهي "توراكيناخاتون" أما لأولاده الكبار واشتهرت بذكائها ودهائها عن "موكاخاتون" فقد أسرعت بإرسال السفراء والرسل إلى أبناء الملوك،من إخوة القاآن وأبنائه تشرح لهم ما حل بالبلاد من أحوال وما وقع فيها من حوادث وتطلب منهم تحديد وقت لتعيين خان جديد،ويجب أن يكون حاكما ورئيسا يتعهد أمور الدولة بحزم ويرعى أمور الحكم [4]،فاتفقت أمراء المغول على أن تتولى تصريف شؤون الإمبراطورية المغولية زوجة الحاكم المغولي المتوفي الملكة توراكينا وأن تكون خلال الفترة الفاصلة بين وفاة الحاكم وانعقاد القوريلتاي الذي يتولى شؤون انتخاب والتصديق على الانتخاب للحاكم الجديد ومن تتبع هذه الحالة نجد أن أمور البلاد سياسيا وعسكريا تكون تحت إمرة الملكة.[5]

يقول الجويني :**"فأعلن جغتاي وغيره من أبناء الملك أن توراكينا خاتون هي أم أولاد الخان الراحل وأكثرهم إستحقاقا للخانية فإنها تتسلم إدارة البلاد حتى يحين موعد إنعقاد القوريلتاي".**[6]

---

[1] الهمذاني، (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، مصدر سابق، ص 12-13

[2] شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت733هـ)، **نهاية الأدب في فنون الأدب**، تح: د نجيب مصطفى فواز: حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ج 27 ،ص 236.

[3] العريني، مرجع سابق، ص188.

[4] الجويني، مج1، مصدر سابق، ص247.

[5] العمادي، مرجع سابق، ص 285-285، أنظر أيضا عصام الدين عبد الرؤوف الفقي الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، دار الفكر العربي مصر القاهرة ، 1999 م، ص 187.

[6] الجويني، مج1، المصدر السابق، ص.247 .

فتمت توراكينا وقادت الخانية لمدة أربع سنوات يقول الجوزجاني في هذا السياق :"...**حكمت زوجة أكتاي توراكيناخاتون ممالك المغول مدة أربع سنوات**".[1]

هكذا فقد أثبتت توراكين خاتون براعة في متابعة حكم القاآن فضبطت أمور الملك بالمهادنة والحيل والكياسة وجذبت إليها قلوب الأقارب بأنواع الحيل والهدايا والتحف ومال اليها أكثر الأجانب والعشائر والأقارب وانقاد الناس إلى أوامرها ونواهيها طواعية ورغبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها " ووقف الناس جميعا بجميع فئاتهم إلى جانبها واتبعها جينقاي وخيرة رجال بلاط القاآن وكذاولاة الأطراف والأقطار"،[2]

سعت توراكينا خاتون طوال فترة حكمها إلى تنصيب إبنها الأكبر منصب الخانية فعملت على أن يطول أمد وصايتها كي تمهد السبل لتحقيق هذه الأمنية[3]، فاجتذبت قلوب الأقارب والأمراء حتى كسبت الأغلبية إلى جانبها ومهدت للإيقاع بكبار الأمراء والوزراء والنواب والمعارضين، واعتمدت في تنفيذ غرضها على حاجبتها المدعوة "فاطمة" التي كانت غاية في الذكاء وبناء على رأي "فاطمة " أخذت توراكينا تعزل أمراء وأركان الدولة المعارضين.[4]

يقول الجويني في أعمال فاطمة الحاجبة:"...واستطاعت أن تسيطر سيطرت تامة على العديد من الأعمال الملكية مستفيدة من كفاءتها ومن رأيها فأقالت عبد الرحمان من منصبه في بلاد الختا وعينت مكانه محمودا "وحين قاد الأمير أرغون "كركوز" الى توراكينا خاتون حبسته لضغينة قديمة بينهما وعينت الأمير أرغون مكانه على خرسان "،[5] أما من أفلت من بطش توراكينا فهما جينقاي الوزير الأعظم ومحمود يلواج صاحب الخطأ إذ التجأ إلى حماية إبنها كوتان.[6]

[1] جوزجاني، مج2، مصدر سابق، ص 180.
[2] الجويني ، ج1، مصدر سابق، ص 247.
[3] مزيان ،مرجع سابق،ص 257.
[4] قداوي، مرجع سابق، ص 146.
[5] الجويني، مج، 1مصدر سابق، ص 249.
[6] قداوي، المرجع السابق، ص 146

وبذلك تكون توراكيناخاتون التي ضل عرش الخانية تحت إمرتها ما يقرب من خمس سنوات (639-644هـ/1241-1246م) قد هيأت الظروف لتحقيق هدفها فأرسلت الرسل إلى كبار الأمراء أسرة جنكيزخان وحكام الأقاليم وقادة الجيوش لحضور جلسة مؤتمر "القوريلتاي "لتنصيب كيوك رسميا قانا أعظم للمغول،كما أرسلت دعوة إلى عديد الملوك والسلاطين متجاهلة وصية زوجها في تولية شيرامون (حفيدها) منصب الخانية[1].

فانقسم المغول وقتها إلى حزبين رئيسين حزب يؤيد توراكينا خاتون في رفع إبنها كيوك على عرش الخاينة وحزب آخر قوي معارض لتولي كيوك العرش،بل معارض لجميع أبناء أوكتاي ويرى منصب الخاينة في أبناء تولوي وتحديدا منكو وتولى هذا الحزب "التالون " أصغر بنات جنكيزخان وزوجها جاورد يساجين[2]، لكن توراكينا لم تأبه بهذه المحاولات وصممت على أن يتولى ابنها كيوك هذا المنصب[3]، إذ عقد اجتماع مجلس القوريلتاي عام 644هـ/1246م إذ أجمع الحضور على اختيار كيوك خان أعظم فقبل بشرط يكون الحكم وراثيا في سلالته وظل يشغل منصبه حتى توفي سنة 647 وتوفيت أمه توراكينا قبله بعدة شهور[4]، نجد بأن الدور الخطير الذي مارسته توراكينا هذه المرأة قاسية القلب بين مدى سطوتها وقوتها إذ تمكنت منّ أن تحكم قبضتها على الإمبراطورية المغولية بيد من حديد وحققت مسعاها في تولية ابنها كيوك خانا أعظم[5].

### ب.قوتولوغ خاتون :

قوتولوغ خاتون أوكوتلوغ خاتون وتسمى في بعض الوثائق تركان خاتون ونجدها تحت اسم صفوة الدين خاتون[6]،تنحدر من سلالة نبيلة من قبائل التركو—مغولية في وسط آسيا وقد قدمت عائلتها من منطقة "ترانسوخيانا" (أوزبكستان وتركستان حاليا ) ولكنها خلال الثوران العنيف لبدايات القرن الثالث عشر اختطفت وبيعت كأمة وتوالى على ملكها العديد من الأسياد الأغنياء الذين وقفوا جميعا

[1] قداوي، المرجع السابق، ص 147.

[2] نوار، مرجع سابق، ص168.

[3] الصلابي، مرجع سابق، ص 182.

[4] العمادي، مرجع سابق، ص 286. ونوار، **المراة ودورها في المجتمع المغولي**، ص70.

[5] نفسه، ص60 – 62.

[6] فاطمة المرنيسي، السلطانات المنسيات تر: عبد الهادي عباس ص 168 .

في غرامها بسبب جمالها وذكائها حتى انتهت أخيرا زوجة "قوتولوغ خان" قائد كيرمان القوي[1]،اسمه الحقيقي "بارك حابيب" وكان أحد القادة العسكريين المحليين لهولاكو الذين أرادوا الاستفادة من الغزو المغولي لترسيخ سلطانهم وهكذا أصبح الرئيس المؤكد لمقاطعة كرمان وأعطاه المنغول لقب "كوتلوغ خان" وبدأ يدفع الجزية لهم[2]، وبعد وفاته ورثها ابنه قطب الدين حسب التقاليد المغولية وكان واضحا من البداية تأثيرها القوي عليه وعندما نصب على عرش "كيرمان" 1251م اعتبرت هي التي ستحكم وبعد وفاته عام 1257م استأثرت رسميا بالسلطة ونعمت بلقب كوتولوغ بعد أن أصبحت رسميا وصية على عرش ابنها الصغير "هاجاج سلطان " حكمت الخاتون "تيركان" إقليم "كيرمان" في جنوب إيران مدة 26 سنة أي منذ عام(655هـ/681هـ/ 1257م 1283م).[3]

كانت سلطة تركان في أوجها عندما ظهر في الأفق كالعادة مطالب بالعرش ومنعها من أن تستمتع بنصرها والمقصود أحد أولاد زوجها السابق المسمى "سيورغ تاميش" ولم يألف هذه الفكرة التي تجعل زوجة أبيه وريثة للعرش،فآثار هذا اضطرابات في المملكة مما اضطر تركان لكي تعيد النظام أن تدمج اسمه في الخطبة إلى جانب اسمها ولكن تركان استعملت الوسائل الكبرى،وهي علاقتها مع البلاط المنغولي فشكت إلى ابنتها باديشاه خاتون وحصلت على إنذار يمنع ابن زوجها من التدخل في شؤون كرمان.[4]

اشتهرت الخاتون تيركان بالعدل ونشرت الأمان و الاستقرار وأعمال الخير في المنطقة التي حكمتها وهناك العديد من الأمثلة على حسن حكمها في نزاعات رعاياها فعندما جاءها شيخ مدعيا أن أمواله ومجوهراته قد سرقت من بيته وبعد أن علمت أن زوجته صغيرة السن أمرت بإرسال بعض عطرها الخاص والمميز كهدية لتلك الزوجة ثم أمرت حراسها بالتجول في المدينة واعتقال كل من تفوح من رائحة ذلك العطر فعثر على أحد الشبان والذي اعترف بأنه على صلة بالزوجة الشابة وهو من سرق بيت زوجها وبعد أن هدد بالعقاب أعاد المسروقات وطلقت الزوجة.[5]

[1] لاين، مرجع سابق، ص 326.
[2] المرنيسي، مرجع سابق، ص168.
[3] لاين، المرجع السابق، ص 327-326.
[4] المرنيسي، المرجع السابق، ص 170.
[5] لاين ، المرجع السابق، ص 328.

ويصفها جورج لاين فيقول: "**إن نهاية حكم تركان خاتون التي جلبت الازدهار لمقاطعة كرمان أظلمت نتيجة برودة العلاقات مع البلاط المنغولي عند وفاة صهرها "أبكا" الذي حدث فجأة قبل موتها ببعض شهور من عام 681هـ/1282م إذا اعتنق أخوه وخليفته الإسلام وأخذ لنفسه إسم أحمد تيغدرو ورغم أن مدة حكمه لم تكن طويلة إلا أنه جلب لتركان كثيرا من القلق عندما ولى على عرش كرمان إبن زوجها وخصمها "سيورغتاميش" حاولت تركان أن ترفع ظلامتها إلى البلاط المنغولي فذهبت إلى عاصمتهم وكانت آنئذ تبريز ولكن أحمد لم يكن لين الجانب وماتت تركان خاتون بعد عام دون أن تستعيد عرشه**" .[1]

لعبت الخاتون "قوتلوغ"دورا مهما ومؤثرا رغم إغفاله تاريخيا لأنها قادت الإقليم وبصورة جيدة ونظمت علاقاتها مع البلاط المغولي فأرسلت ابنها خدجاج ليحارب في جيش هولاكو كما زوجته من ابنة حاكم خورسان أرغون آقا وزوجت إبنتها"باديشاه"من وريث عرش هولاكو أباكا وكان هذا الزواج مستغربا لأن الزوجة مسلمة والزوج بوذي ولا يحق لها حسب الشريعة الإسلامية الزواج من غير مسلم وبذلك حافظت على العلاقات مع الإلخانات ونعمت بدعمهم.[2]

### 3. دورهم في المصاهرات السياسية:

#### أ. طلونبية خاتون:

طلنباش ودلنبية وقيل طولونبية وقيل طلنباي وقيل طلنباش بنت طغاجي بن هندو بن بكو بن جوجي[3]،تزوجت من السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون في عهد السلطان أزبك وكان ذلك في سنة (715هـ-1315م) وكان القصد من هذا الزواج هو توثيق العلاقات بين دولتي المماليك في مصر ودولة مغول القبجاق للوقوف معا ضد مغول إيلخانية فارس[4]، وفي بادئ أمرالخطبة يقول الرمزي :"... **قد مر قطلقتيمر نائب السلطان أوزبك هو الذي أشار بذلك على رسل الملك الناصر في أوائل سلطنة السلطان أوزبك ولاشك أن جل قصده بذلك تأكيد المحبة ودوام**

---

[1] المرنيسي، مرجع سابق، ص180.

[2] لاين، مرجع سابق، ص 327 أنظر أيضا، المرنيسي، مرجع سابق، ص 169 .

[3] إبراهيم شمس الدين، **تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار**، م.م الرمزي، تح: محمد علي بيضون، ط1، ج1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان 2002م ،ص 501.

[4] العمادي، مرجع سابق، ص 299.

**المودة والمواصلة بين هذين الملكين، بحصول نسبة المصاهرة بينهما فيكون كشيء واحد يعاضد أحدهما الأخر"**[1].

وكانت العلاقة بين أوزبك خان و الناصر محمد ودية للغاية حتى أن الناصر أرسل إليه أحد الأمراء يخطب بنت من الذرية الجنكيزخاينة فجمع محمد أوزبك الأمراء وعرض عليهم طلب الناصر فنفروا من ذلك الأمر وطلبوا منه رفع المهر كما طول المدة التي قررها بأربع سنوات [2]،ويقال أن مستشاري أوزبك خان من الأمراء نفروا من هذا الطلب في أول الأمر لأنهم اعتبروا ذلك خروجا عن تقاليدهم وعاداتهم ولذلك إشترطوا في طلب المهر ووضعوا شروطا قاسية لإتمام الزواج ،الأمر الذي جعل السلطان الناصر يعدل مؤقتا عن الخطبة.[3]

يقول الرمزي: "**إلى أن استحكم ذلك بينهم وبعثوا إليه المخطوبة طلنباش بنت طناجي بن جوجي سنة 720هـ مع كبير المغل وكان مقعدا يحمل على الأعناق ومعهم جماعة من أمرائهم وبرهان الدين إمام أوزبك ومروا بالقسطنطينية فبالغ الأشكري في إكرامهم يقال:" أنه أنفق عليهم ستين ألف دينار وركبو البحر من هناك إلى الإسكندرية ثم سارو بها إلى مصر على عجلة وراء ستور من الذهب والحرير يجرها أكديش يقودها اثنان من مواليها في مظهر عظيم من الوقار** " [4]، وعندما وصل رسول أوزبك إلى السلطان الناصر بصحبة الخاتون طلنباي قال له : **هذه بنت من بيت كبير فإن أعجبتك فلا تكن عندك أعظم منها وإلا فاعمل بقوله تعالى : إن الله يأمركم أن تؤدو الأمانات إلى أهلها " فقال له الناصر أن لم نطلب الحسن إنما طلبنا كبر البيت وأن نكون شيئا واحدا وقد تغال الناصر في إكرام الوفد الذي مع خطيبته**[5]، وفي اليوم الثالث من وصولها عقد زواجهما بين مظاهر الفرح والابتهاج والسرور وبهذه المصاهرة توثقت عرى الصداقة بين الدولتين وأنتهز أوزبك تلك الفرصة فطلب من الناصر العون والمساعدة على خصمه أبي سعيد إيلخان المغول في فارس فوافق الناصر على طلبه أول الأمر لأن مصر كانت آنذاك في عداء

[1] الرمزي،ج27، المصدر السابق، ص 500.

[2] كدور، **المرأة ودورها الحضاري في عصر المغول ،مرجع سابق**، ص 178-179.

[3] نوار، الطوائف المغولية في مصر، مرجع سابق، ص

[4] الرمزي، ج27، المصدر السابق، ص 501.

[5] كدور، **المرأة و دورها الحضاري في عصر المغول**، ص 180 والمقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: عبد القادر عطا، ط1، ج3 دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، سنة 1997م، ص26.

مستحكم مع مغول فارس على أن أبا سعيد نهج سياسة تنطوي على التودد إلى الناصر وأبرم الصلح بينهما وزال ما كان بين المماليك والمغول في فارس من عداء مستحكم .[1]

واستمرت الصداقة بين هاتين الدولتين في عهد " جاني بك" ابن أوزبك خان فتبادلت المراسلات بينه وبين السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون سنة 756هـ/1355م و بها ازدادت روابط الصداقة بين المماليك و القبجاق نتيجة هذه المصاهرة التي تمت بين الطرفين ونتج عنها أن ازداد انتشار الإسلام في عهد السلطان المغولي المسلم أوزبك خان[2]، ويبدو أن زواج الناصر من طولوبية كان لكسب ود مغول القفجاق على حساب مغول فارس ولكن بعد زوال العداء مع مغول فارس طلق الناصر طولوبية وزوجها إلى الأمير"منكلي بغا" وبعد وفاة الأمير منكلي زوجها الناصر محمد إلى الأمير سودون وهو أحد أمراء الألوف كما زوجها مرة أخرى من الأمير عمر بن أورغون في محرم سنة 735هـ[3]، ومما يلاحظ من متابعة سيرة هذه الخاتون المغولية بعد أن عاشت في المجتمع المملوكي أنها تأثرت به بدليل أن المصادر تشير إلى أنها ومنذ طلاقها من الناصر محمد سنة(728هـ /1328م) وإلى حين وفاتها سنة(741هـ /1340م)قد تزوجت بثلاثة أزواج آخرين.[4]

**ب.باديشاه خاتون :**

كانت باديشاه إبنة الملكة " قوتولوغ تيركان " المفضلة[5]، و إبنة السلطان " قطب الدين محمد الكرماني" [6]اشتهرت بذكائها و مواهبها الأدبية فكانت شاعرة مميزة : حياتها في بلاط كيرمان كانت منعمة و لا تشبه في شيء حياة قريناتها في السهوب[7].

تزوجت باديشاه خاتون من أبكا خان إبن هولاكو و كان هذا الزواج مستغربا استغرابا مزدوجا لأن الزوجة مسلمة و الزوج البوذي و كذلك لأن باديشاه خاتون تربت كصبي بين الصبيان تماما ليخدعوا المنغول الدين كانوا يخضعون أميرات مستعمراتهم للزواج الإجباري و يبدوا أن سلالة قوتولوغ

---

[1] فاضل جابر ضاحي، ،ثامر نعمان مصطفى، **الزواج السياسي في عصر المماليك البحرية** (648هـ/784هـ ) جامعة واسط كلية التربية، مجلة كلية التربية مجلة علمية محكمة العدد2 سنة 2007، ص 127 .

[2] كدرو، **المرأة و دورها الحضاري في عصر المغول**، المرجع السابق، ص 182.

[3] جابر ضاحي / وثامر نعمان، مرجع سابق، ص 127-128.

[4] العمادي، مرجع سابق، ص299.

[5] - لاين، مرجع سابق، ص227.

6-الهمذاني، مج2 -ج2، مصدر سابق، ص6.

7- لاين، مرجع سابق، ص228.

خان لم يكن لديها رغبة الارتباط بالزواج مع بلاط هولاكو ولكن الوصولية السياسية تقرر عكس ذلك[1].

تزامن وصول باديشاه إلى قصر الإلخان أباق مع وفاة والدته الخاتون ياسونجين، فبعد وفاة تلك السيدة الموقرة برزت الحاجة إلى من يدير مخيمها و يأخذ مكانها في كل شيء و كانت باديشاه هي تلك المرأة فمند لحظة لقائهما الأول اكتشف مقدار ذكائها وحكمتها ولياقتها وقدرتها على القيادة والإدارة فأصدر ختما باسمها و استلمت عرش أمه المتوفاة ويوما بعد يوم اكتسبت عاطفة الزوجات الأخريات وجميع الأميرات والأمراء ومحبتهم و يعتقد المؤرخ وصاف بأن حب "أبقا خان" لها هو سبب في منحها كل تلك الامتيازات التي فاقت كل ما أعطاه لجميع نسائه من قبل[2].

وساعد هذا الزواج السياسي الملكة قوتولوغ تيركان في إصدار إنذار يمنع ابن زوجها من التدخل في شؤون كرمان ولكن بعد وفاة أباقا خان منح سيورغ تاميش عرش كرمان بعد وفاة ملكته إلى أن إبنتها باديشاه تزوجت بـ جايخاتو العاهل الخامس في سلالة الخان الذي استولى على السلطة في عام (690هـ/ 1291م). فاستطاعت إعادة دمج البلاط المنغولي مع عرش كرمان الذي فقدته أمها، لم تضيع باديشاه خاتون الوقت فطلبت من زوجها الجديد جايخاتو كبرهان على عواطفه اتجاهها أن يمنحها عرش كرمان فوافق على هذا طلبها ووصلت باديشاه خاتون كرئيسة دولة كرمان[3] .

فتولت إدارة شؤون حكم كرمان بمقتضى مرسوم كيختاو وظلت مستقلة في حكم تلك الولاية طوال حياة زوجها ولقد أرسلت رسولا إلى كيختاو وطلبت منه أن يوبخ سيور غيتميش الذي هرب إليه وطلبت منه إرساله لها رغم كونه لاجئا وتظاهرت بداية بالعفو عنه لكنها أرسلت إليه ليلا بعض الأشخاص لقتله [4] .

فطلبت كور ددجين أرملة سيور غيتميش بالانتقام لزوجها من بايدو السيد الجديد فطلبت منه قتله [5]، في شعبان سنة(694هـ / 1294م)و اعتلت مكانها العرش [6] .

---

[1]-المرنيسي، مرجع سابق، ص 169.

2 لاين، مرجع سابق، ص 228-229.

[3]- المرنيسي، المرجع السابق، ص 171-172.

[4] كدرو، المرأة و دورها الحضاري في عصر المغول ، مرجع سابق، ص 149 – 150.

[5] المرنيسي، المرجع السابق ، ص172.

[6] كدرو، المرجع السابق، ص 150.

## 4. دورهم في العلاقات الخارجية :

### أ. أغول غايمش:

بقيت أرملة كيوك خان أغول غايمش بمباركة باتوخان والعديد من الأمراء والنبلاء المغول في كل أنحاء الإمبراطورية وصية على العرش لمدة ثلاث سنوات حتى اجتماع " القوريلتاي" الذي يصادق على اختيار الخان الأعظم ،فحكمت مابين (1248م/1251م) بمساعدة أولادها[1]، وبعد وفاة "كيوكخان"سدت الطرق وصدر قانون يقضي بأن ينزل كل شخصفي الموضع الذي يكون قد وصل إليه عامرا كان أوخاربا وبموجب فرمان أغول غايمش نقلت كيوك خان إلى الناحية أيميل بحيث كان معسكره وقدمت سيور قوقتيتي بيكي لها نصائح التعزية جديا على المتبع وأرسلت إليها الثياب والبوقتاق[2].

ولضعف مركزها في البلاط المغولي فإنهااستدعت ممثلين عن أتباع المغول الأسيويين لمشاهدة ما اعتبرته رمزا لولاء الملك الفرنسي[3]، وقامت بمباشرة مهام الحكم إلى حين إنتخاب خاقان جديد طبقا لمرسوم المغول وعاداتهم [4]،وفي فترة وصايتها على أن تحتفظ بالعرش المغولي في نسل كيوك خان دون غيره بغض النظر عن الوسائل التي تتبعها لتحقيق ذلك [5]،ولذلك كانت تقضي أغلب أوقاتها في الخلوة مع السحرة وكانت مشغولة بهذيانهم و خرافاتهم [6]،وعلى الرغم من السياسة الخرقاء التي إتبعتها أوغول غايمش فان ذلك لم يحول دون مواصلة نشاطها الدبلوماسي في مجال العلاقات الخارجية بين المغول والغرب الأوربي وتمثل ذلك في استقبالها لتلك السفارة المرسلة من لويس التاسع ملك فرنسا أثناء وجوده في قبرص وذلك في محاولة من قبل لويس التاسع لإحياء مشروع التحالف الصليبي المغولي ضد المسلمين في الشرق وهو المشروع الذي بدأ يتبناه أنوسنت الرابع[7]، من قبل وكانت فكرة التحالف

---

[1] لاين، مرجع سابق، ص 319.

[2] الهمذاني، (تاريخ خلفاء جنكيزخان) مصدر سابق ص 185.

[3] عادل إسماعيل محمد هلال، **العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي**، ط1، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، مصر، 1997م، ص44.

[4] فهمي، مرجع سابق، ص 105.

[5] نوار ،**المرأة ودورها في المجتمع المغولي**، مرجع سابق ص 78-88.

[6] الهمذاني (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، المصدر السابق، ص 186.

[7] **انوست الرابع** : شغل كرسي الحبرية لمدة ثمانية عشر عام وخمسة أشهر وأربعة أيام وهو الذي شغل الكرسي في الكنيسة الرومانية لمدة عشر سنوات وسبعة أشهر وتسعة عشر يوما. كدرو، المرأة ودورها الحضاري في العصر المغولي، مرجع سابق، ص90.

مع المغول الذين إعتنقوا المسيحية ضد المسلمين قد لقيت القبول والإحسان لدى" لويس"[1]،وقد وصلت سفارة الملك" لويس التاسع "إلى مدينة قراقوم سنة (648هـ/1250م)

فاستقبلت السفارة بالترحاب والإيناس غير أنها اعتبرت ما أرسله لويس التاسع من الهدايا جزية يؤذيها التابع لسلطان وفي الوقت ذاته إمتنعت عن إرسال حملة ضخمة إلى الغرب بحجة المشاكل التي كان يواجهها البيت المغولي،ولما عاد اندريا من منغوليا بعد أن مكث ثلاث سنوات لم يحمل معه سوى رسالة أعربت فيها الوصية على العرش عن شكرها لتابعها ( لويس التاسع) على ما يبديه من اهتمام نحوها وطلبت منه أن يواضب على أن يرسل الهدايا كل سنة وجاء في رسالتها كالتالي : "إننا نطالب أن تدفعوا لنا الذهب والفضة في كل سنة لأن هذا سيحافظ على صداقتنا وإذا لم يحصل فإننا سنحطمكم كما حطمنا الآخرين " وعلى الرغم من إرتياع لويس التاسع لهذه الصدمة لم ييأس مطلقا وتوقع أنه سوف يحل الوقت الذي يتم فيه عقد تحالف مع المغول ولكن ما نوقفه لم يحدث إذ أخفقت سفارة ثانية برئاسة وليم روبروك التي كان قد أرسلها سنة 651هـ/1253م إلى سيور قوقتيتي بيكي وإلى منكو الذي كان قد وصل إلى صراع مع أوغول غايمش وحدد منكو ذات المطالب التي كان أسلافه قد طالبوا البابا وملوك أوروبا بها وهي إعلان التبعية للخان أولا قبل الدخول إلى أي تحالف وهذا ما لم يقبل به ملك فرنسا لأنها تحط من شأنه ومن شأن البابا الذي هو راعي المسيحية ولهذا غادر وليم روبرك و قراقورم خائبا وذلك سنة 652هـ/1254م[2].

ولهذا فإن السفرات والبعثات التي أرسلت للبلاط المغولي لم يكن هدفها الدين المسيحي بقدر ما كان السعي للقضاء على الخلافة الإسلامية وكسر شوكة المسلمين وبأي وسيلة حتى لو استدعى ذلك التحالف مع الشيطان[3].

[1] نوار ،المرأة ودورها في المجتمع المغولي، مرجع سابق، ص 89 .

[2] قداوي، مرجع سابق،ص 17-18.

[3] أحمد عبد القادر الشاذلي، **فتوحات هولاكوخان في ميزان النقد التاريخ**، كلية الآداب، جامعة المنوفية، القاهرة 1990م ، ص .75

ومما تقدم يمكننا استخلاص النتائج التالية:

– المغول عرق بدوي لم تكن لهم مدن يستوطنون فيها فكانت حياتهم قاسية أنجبت نساءا ورجالا أشداء.

– أدى ظهور جنكيز خان بقوة الحديد والنار إلى جمع شمل القبائل المغولية تحت لوائه ورایاته فأسس إمبراطورية مترامية الأطراف ضمت أكثر من نصف العالم آنذاك .

– أن المرأة المغولية حظيت بمكانة و أهمية كبيرة في مجتمعها لا تقل عن أهمية ومكانة الرجل .

– كان دور المرأة المغولية في المجال الاجتماعي فطريا في تكوينيته فقد مالت كجميع نساء العالم الى نفس المسار في تكوين الاسرة وتربية الابناء ورعايتهم وسعيها دائم لتوفير مطالبهم.

– استطاعت المرأة المغولية عبر تاريخ إمبراطوريتها أن تقوم بدور هام في جميع المجالات بتربية الأبناء وأشغال البيت ،بل شاركت الرجل في كثير من أعماله، إذ أسهمت في الازدهار الاجتماعي .

– أن العصر المغولي وبالتحديد فترة القرنين السابع والثامن هجريين بصفتها الفترة الأولى لتاريخ المغول قد أنجبت رموزا نسوية مغولية لا يستهان بها أظهرت مدى قوتها وحنكتها السياسية في التخطيط وتنفيذ المؤامرات السياسية و حتى قيادة الإمبراطورية .

– تمتعت نساء البلاط المغولي بمكانة مرموقة حيث كانت تجلس الخواتين إلى جانب الخان في الاحتفالات ،وخصصت لهم مرتبات خاصة وإقطاعات يتصرفون بها حسب احتياجاتهم.

– إختلاف طرق الوصول الى السلطة بين الخواتين فمنهم من استعملت البطش والقسوة والقتل ومنهم من مالت الى اللين والتعامل الحسن .

– نستنتج أن الخواتين المغوليات لعبوا دورا بارزا في تحديد مسار المصاهرات السياسية الخارجية للمغول و تحديدا في عهد محمد اوزبك خان الذ 85 ، المملوكي محمد قلاوون و حالفوا على إثر هذا الزواج ضد مغول إيران.

– نستنتج أن الخواتين قد ساهموا مساهمة مباشرة في تاريخ الإمبراطورية بعد تولي البعض منهم للوصاية على الخانية بعد وفاة أزواجهم.

– ادى الذكاء الكبير الذي تمتعت به الخواتين المغوليات الى الوصول الى المناصب العليا في الامبراطورية.

– أن النساء المغوليات لم يقتصر دورهن على المجال السياسي وحسب بل تعدينه إلى المشاركة في الحروب مع الرجال و التصدي للأعداء بكل جرأة و قسوة.

**القرآن الكريم**

## 1-المصادر و المراجع:

### 1-أ.مصادر عربية:


1- إبن الاثير(ت630هـ)، **الكامل في التاريخ**، مر:الدكتور محمد يوسف الدقاق، المجلد العاشر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 4، 2003م.

2- ابن ايبك الدوداري،**كنز الدرر وجامع الغرر، الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر**، ج9.

3- ابن بطوطة(779هـ)، **رحلة ابن طوطة تحفة النظار في غرائب وعجائب الأسفار**، تح: محمد عبد المنعم العريان، مر: مصطفى القصاص، دار احياء العلوم، ط1، بيروت لبنان،1987 م.

4- ابن عبري ابي فرج جمال الدين، **تاريخ الزمان**، تر:اسحاق ارملة، ، بيروت لبنان، 1991م.

5- ابن فضل الله العمري(ت749)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تر:كامل سليمان الجبوري، دار الكتاب العلمية، بيروت، ج 3 .

6- أبي الفداء عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر(ت732هـ)، **تقويم البلدان**، دار صادر بيروت.

7- أبي دلف مسعر بن المهلهل الخزرجي، **الرسالة الأولى**، تح:مريزن سعيد مريزن عسيرى، أبحاث ودراسات مركز الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى ،1995 م.

8- الامام الحافظ جلال الدين عبد الرحمان ابن أبي بكر السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ط2، تح:محمد غسان نصوح و عزقول الحسيني، دار المنهاج، بيروت لبنان ، 2013 م.

9- الرمزي م.م، **تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار**، تق: إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، ج1، 2002م.

10- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، **نهاية الأدب في فنون الأدب**(ت733هـ) تح: نجيب مصطفى فواز و حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ج27.

11- القلقشندي(821هـ)، احمد أبي العباس، **صبح الأعشى في كتابة الإنشاء**، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1914م، ج4.

12- محمد أحمد النسوي، **سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي**، تح:أحمد حمدي حافظ، دار الفكر العربي، القاهرة، 1953م.

13- المقريزي(845هـ)، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج3، ط1،1997م.

14- مؤلف مجهول، **حدود العالم من المشرق إلى المغرب**، تح:يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ط1، 1999م.

15- الشهرستاني، الملل والنحل، تح، أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، ج1، 1993م.

**1-ب.مصادر فارسية معربة:**

16- منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني(ت698هـ)، **طبقات ناصري** ، تر: ملكه علي التركي ، ج2، ط، المركز القومي للترجمة ،القاهرة ، 2012م.

17- علاء الدين عطاء الملك الجويني(ت681هـ)، **تاريخ فاتح العالم جهان كشاى في تاريخ منكوفاآن وهولاكو والاسماعلية** ، مجلد3، القاهرة، 2015م.

18- رشيد الدين فضل الله الهمذاني(718هـ)، **جامع التواريخ تاريخ المغول** ،المجلد 2،الجزء2، تر:محمد صادق نشأت ، فؤاد عبد المعطي الصياد، دار الكتب العربية .

19- علاء الدين عطا ملك الجويني ، **تاريخ فاتح العالم جهان كشاى** ، تح: محمد عبد الوهاب القزويني ، المجلد 1، ط1 ،الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية ،القاهرة ،2007م.

20- رشيد الدين فضل الله الهمذاني،**جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان)**، تر:فؤاد عبد المعطي الصياد،دار النهضة العربية ،ط1،بيروت، لبنان،1983م.

**2-المراجع:**

21- السيد الباز العريني، **المغول**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، 1980م.

22- عصام الدين عبد الرؤوف الفقى، **الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي** ،ط1، دارالفكر العربي ،القاهرة، 1999م.

23- محمد سهيل طقوش،**تاريخ المغول القبيلة الذهبية و الهند**، دار النفائس ، ط1، بيروت، لبنان، 2007م.

24- إسماعيل عبد العزيز خالدي، **العالم الإسلامي و الغزو المغولي** ،ط1،مكتبة الفلاح ،الكويت ،1984م.

25- الصاوى محمد الصاوى ؛ **جنكيزخان فاتح العالم** ، ط1 ، د ار المكتبة المصرية ، الجيزة ، 2012 م.

26- ثروت عكاشة، **إعصار من الشرق جنكيزخان**، ، دار الشروق، بيروت، ط5، 1992م.

27- علي محمد الصلابي **دولة المغول والتتار بين الانتشار و الانكسار**، ، ط1، 2009 م.

28- سامي محمد المرسي ، **المغول** ، ط1 ، دار العالم العربي ، القاهرة، 2011 م.

29- صلاح الدين محمد نوار ، **الطوائف المغولية في مصر وتأثيراتها العسكرية والسياسية والاجتماعية واللغوية والعمرانية في عصر المماليك البحرية ، (658هـ/783– 1260م1381م)**،منشأة المعارف، الإسكندرية.

30- صلاح الدين محمد نوار ،**المرأة و دورها في المجتمع المغولي، منشأة المعارف، ط1**، الإسكندرية، 1999 م.

31- عباس إقبال،**تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية**، عبد الوهاب،علوب،المجمع الثقافي ابو ظبي، 2000م.

32- عبد السلام عبد العزيز فهمي، **تاريخ الدولة المغولية في إيران** ،دار المعارف، القاهرة، 1981 م.

33- عبد المعطي الصياد ، **المغول في التاريخ** ، الجزء1، دار النهضة العربية، بيروت ، 1980م.

34- محمد سهيل طقوش ، **تاريخ المغول القبيلة الذهبية و الهند** ،ط1، دارالنفائس الثقافة للطباعة و النشر، بيروت لبنان، 2007م.

35- محمد سهيل طقوش، **تاريخ المغول العظام والإيلخانيين** ، ط1، دار النفائس، بيروت لبنان، 2007.

36- محمد علاء الدين منصور ، **تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية( 605هـ/860م-1343هـ/1965م)**، دار الثقافة للنشر والتوزيع ،القاهرة ،1989.

37- محمد علي الباز، **كيف اسلم المغول**، دار الفتح للدراسات و النشر، عمان الأردن، ط1، 2008.

90

محمد عيدان العيادي ، **ابن العلقمي ودوره السياسي**،ط1 ، المجمع العالمي لأهل البيت .

38- محمود السيد، **التتار والمغول**، مؤسسة شهاب الجامعة ، الإسكندرية ،2001.

39- مصطفى طه بدر ،**محنة الاسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على المغول**،ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1999.

40- ندا طه ، **فصول في تاريخ الحضارة الإسلامية** ،**دار المعرفة الجامعية** ،الإسكندرية، 1993.

41- أحمد عودات وآخرون ،**تاريخ المغول و المماليك من القرن السابع هجري حتى القرن الثالث عشر هجري**، دار الكندي، إربد، 1990.

42- فاطمة المرنيسي ،**السلطانات المنسيات**، تر: عبد الهادي عباس.

43- كتابجي زكرياء، **الترك في مؤلفات الجاحظ ومكانتهم في التاريخ الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث هجري**، دار الثقافة ، بيروت لبنان،1967 .

44- ندا طه، **فصول في تاريخ الحضارة الإسلامية**، دار المعرفة الجامعية، مصر، الإسكندرية، 1993.

45- عبد المنعم الحنفي، **موسوعة الفرق والجماعات و المذاهب الإسلامية**، دار الرشيد للطباعة والنشر، ط1، 1993م.

**3-مقالات:**

46- ريهام المشادي، **رحلة قبائل المغول من التمزق إلى التوحد**، دورية كان التاريخية، العدد الرابع، 2009.

47- عبدالله ناصر و عبود الحيايي، **ديانات التتر و أثرها في رسم سياساتهم و توجيه حروبهم**، مجلة جامعة الكويت للعلوم الانسانية، م 19، العدد 10،سنة 2012 .

48- محمد حسن عبد الكريم العمادي، **جوانب من حياة المرأة في العصر المغولي**، نعمان محمد أحمد جبران، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، جامعة قطر .

49- نرجس أسعد كدور، **سرقويتي بيكي ودورها في البلاط المغولي**، مجلد 4،دار العلم للغة العربية ،مصر.

50- اسراء مهدي مزبان، **خواتين القصور المغولية ودورهن في تدبير المؤامرات السياسية**، جامعة واسط، كلية التربية، العدد التاسع السنة الرابعة، 2012م، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية.

51- سعاد هادي حسن الطائي ،**الدور السياسي والإداري لزوجات خانات المغول خلال العصر العباسي (626-650هـ /1228-1252م) سيورقوقتشي بيكي وأوغول غايمش أنموذجا**، كلية التربية ، ابن راشد جامعة، بغداد ،مجلة مداد الآداب، العدد الرابع .

52- فاضل جابر ضاحي، ثامر نعمان مصطفى، **الزواج السياسي في عصر المماليك البحرية (648هـ/784هـ)** جامعة واسط كلية التربية، مجلة كلية التربية مجلة علمية محكمة العدد2 سنة 2007.

53- أحمد عبد القادر الشاذلي، **فتوحات هولاكوخان في ميزان النقد التاريخ**، كلية الآداب، جامعة المنوفية، القاهرة 1990م .

54- سلام علي من الجناري، **دقوزخاتون**، دراسة في سيرتها، كلية الآداب، جامعة ذي قار، مجلة الخليج العربي، مجلد (4/3)، سنة 2016.

55- أحمد عبد القادر الشاذلي، **فتوحات هولاكوخان في ميزان النقد التاريخ**، كلية الآداب، جامعة المنوفية، القاهرة 1990م .

56- رائد عبد الرحيم، **ألفاظ مغولية في آداب العصر المملوكي وكتب مؤرخيه**، مجلة جامعة النجاح للأبحاث(العلوم الإنسانية)، نابلس فلسطين، مجلد22، 2008م.

**الرسائل العلمية:**

57- مصطفى بن حسين، **المغول وعلاقاتهم بالقوة المسيحية والاسلامية في اوربا والمشرق بين سنتي 612هـ/1215م و 956هـ/1260م)**، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2009م.

58- نرجس اسعد كدرو، **المرأة ودورها الحضاري في عصر المغول**، مكتبة الرسائل الرئيسة، جامعة عين الشمس ،2012

59- رغد عبد الكريم أحمد نجار، **إمبراطورية المغول (دراسة تحليلية عن التاريخ المبكر للمغول وتكوين الإمبراطورية والصراعات السياسية على السلطة (603/766هـ 1365/1206م)** الطبعة 1، 2012م .

60- عادل إسماعيل محمود هلال، **العلاقات بين المغول و أوربا و أثرها على العالم الإسلامي** ، ط1 ، كلية الآداب، جامعة الزقازيق،1997م.

**3-مراجع أجنبية:**

61- كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر:نبيد أمين فارس ،منير البعلبكي ،ط5 ،دار العلم للملايين ، بيروت .

62- برتولد شبولر ، العالم الإسلامي في العصر المغولي،تر: خالد اسعد عيسى، تق:سهيل زكار، ط 1،دار حسان للطباعة و النشر، 1982.

63- إدوَار برّوى وآخرون، **تاريخ الحضارات العام**، ط2، تر: يوسف أسعد داغر، فريد م داغر، منشورات عويدات، بيروت باريس،1986، م3.

64- هيلدا هوخام، **تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين**، تر: أشرف محمد كيلاني، المجلس الأعلى للثقافة ، ط1 ،القاهرة،2012.

65- هارولد لامث، **جنكيزخان إمبراطور الناس كلهم**.

66- ماركو بولو، **رحلات ماركوبولو**،تر:عبد العزيز جاويد ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1995.

67- جيرمایاکیرتن،**رحلة الى جنوب سيبيريا المغول ودياناتهم وأساطيرهم**، تر: عدنان عبد الله

68- ي إكتشانون،**حياة تيموتجين جنكيز خان**، تر: طلحة طيب، مركز جمعة، دبي،2005.

69- بارتولد فاسيلي فلاديميروفيتش، **تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي**، تر:صلاح الدين عثمان هاشم، شركة كاظمة، الكويت، 1981.

70- بروتولدشبولر،**العالم الإسلامي والغزو المسيحي**،تر:خالد اسعدعيسى، دار حسان للطباعة والنشر،ط1،دمشق ،1982.

71- جورج لاين، **سلسلة الحياة اليومية عبر التاريخ عصر المغول**، ط1،تر: تغريد الغضبان ،مراجعة سامر أبوهواش ، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة ، أبوظبي ،2012.

امبراطورية المغول في القرن الثالث عشر

١- أولوس جوچي الاوردو والذهبي
٢- أولوس جغتاي.
٣- أولوس هولاكو (ايلخانات الفرس)
٤- أولوس القاآن الأكبر
٥- الإمارات الروسية الخاضعة للأوردو والذهبي

## الملحق :01

ثياب تقليدية نسائية مونغولية، متحف هوهوت، بموافقة «زينغ يانغ كينشان الثقافية للنشر»

## الملحق :02

خاتون مونغولية على ضفاف بحيرة سايرام، شمال ينغين في جبال الفردوس، تيان شان، بموافقة «زينغ يانغ كينشان الثقافية للنشر»

## الملحق :03

**الفهرس:**


| | |
|---|---|
| **شكر وعرفان**..... | |
| **إهداء**..... | |
| **مقدمة**. ..... | أ |
| **الفصل تمهيدي: نبذة عن الامبراطورية المغولية**..... | 24-6 |
| أصل المغول ..... | 6 |
| تعريف المغول ..... | 6 |
| جغرافية المغول..... | 7 |
| القبائل المكونة للمجتمع المغولي..... | 11-9 |
| محاولات المبكرة لتوحيد المغول..... | 13 |
| جنكيز خان موحد القبائل ..... | 14 |
| توسع جنكيز خان ..... | 16 |
| القضاء على كوجلك خان ..... | 18 |
| سقوط الدولة الخوارزمية..... | 20 |
| إسقاط بغداد..... | 23 |
| **الفصل الأول: الحياة الاجتماعية عند المغول**..... | 45-25 |
| طبقات المجتمع المغولي ..... | 26 |
| تقاليد المغول ..... | 26 |
| المسكن ..... | 2730 |
| المأكل ..... | 31 |
| الخرافات عند المغول..... | 33 |
| الدين وقوانين الياسا..... | 33 |
| الدين ..... | 37 |
| القوانين التنظيمية (قانون الياسا)..... | 40 |
| الزواج والاسرة ..... | 40 |
| الزواج عند المغول ..... | 40 |

| | |
|---|---|
| الزوجات الارامل..... | 42 |
| الزواج الخرافي عند المغول..... | 43 |
| الزواج المغول بعد الاسلام..... | 43 |
| بنية العائلة ..... | 44 |
| **الفصل الثاني:مكانت المراة ودورها الإجتماعي**..... | 47-46 |
| المرأة في المجتمع المغولي..... | 47 |
| طبقات النساء في المجتمع المغولي..... | 47 |
| معاملة المغول لنساء حسب الطبقات ..... | 49 |
| المخصصات المالية للمرأة المغولية ..... | 50 |
| لباس المرأة المغولية ..... | 51 |
| أ- قبل الاسلام..... | 51 |
| ملابس المرأة المتزوجة ..... | 53 |
| ملابس المرأة الغير متزوجة ..... | 53 |
| ب- قبل الاسلام..... | 54 |
| مكانت المرأة عند المغول ..... | 56 |
| وظائف المرأة المغولية ..... | 60 |
| الوظائف التقليدية..... | 60 |
| الوظائف الغيرالتقليدية..... | 61 |
| الدور الاجتماعي للمرأة المغولية ..... | 63 |
| دورها في المجال الديني ..... | 63 |
| دورها في المجال الفني..... | 67 |
| **الفصل الثالث: الدور السياسي للمرأة المغولية** ..... | 83-69 |
| دورهم في تربية الخانات وتوليتهم ..... | 69 |
| أ- هاو إيلوان..... | 69 |
| ب- سيورقوقتيتي بيكي. | 70 |

| | |
|---|---|
| دورها في تولي الحكم وقيادة الامبراطورية..... | 73 |
| أ-توركيناخاتون..... | 73 |
| ب- قوتولوغ خاتون..... | 76 |
| دورهم في المصاهرات السياسية..... | 78 |
| أ-طولونبية خاتون..... | 78 |
| ب-باديشاه..... | 80 |
| دورهم في العلاقات الخارجية..... | 82 |
| أ-قول قايميش..... | 82 |
| الخاتمة..... | 85 |
| قائمة الببليوغرافيا..... | 88 |
| الملاحق ..... | 95 |
| الفهرس..... | |